سيجارة ووطن

سارة توايتية

سيجارةٌ ووطن

رواية

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى 1440 هـ - 2019 م
ردمك 8- 243- 79 – 9947- 978 (ISBN)
التوزيع الدولي للكتاب: مصر، لبنان، العراق، الأردن، السودان

اسم العمل: سيجارة ووطن
اسم المؤلف: سارة توايتية
تصميم الغلاف: سيف الدين لغويل
المدير العام / سميرة منصوري
اخراج وتنسيق: فريق دار المثقف

الناشر / دار المثقف الجزائر/ دار ببلومانيا مصر للنشر و التوزيع
صفحة الدار على موقع فيسبوك:
/https://www.facebook.com/elmothakaf
الموقع الإلكتروني: www.elmmothakef.com
هاتف / فاكس 75 65 85 033 / 50 28 76 0666

المثقف للنشر والتوزيع

ببلومانيا للنشر والتوزيع

جميع حقوق النشر الورقي و الإلكتروني والمرئي والمسموع
محفوظة للناشر وغير مسموح بتداول هذا الكتاب بالقص أو النسخ
أو التعديل إلا بإذن من الناشر

إهداء

إلى أخي الغائب جسدا الحاضر روحا... إلى خصلات شعري المموّجة المتساقطة على سريري بحزن... وحدك أنتِ لولاك ما كنت أنثى قوية لأولئك الذين مرّوا بحياتي وخلّفوا عطرا جميلا...

يقولـون أن مـن يكتـب صديـق مـن يقـرأ لكنّنـي لا أريـد أن أكـون صديقتكم لأنّ الأصدقـاء يخونـون وأنـا لا أريـد منكـم أن تخونـوا، وأنـا أبثكـم بعضـا منّـي، أريـد أن أكـون معكـم أكـثر مـن صديقـة وأكـثر مـن حبيبـة لا أدري مـا يسـمّون هـذا (مـا بـين الصداقـة والحـب) لكنّنـي أسـميته غـير قابـل للخيانـة، أؤمـن أنّـه لـولا الصّداقـة والحـب مـا كانـت لتكـون تلـك المسـمّاة خيانـة.. فـلا تكـن خائنا..كـن أجمـل..

إنّـه أمـر مؤسـف حقّـا أن تشـتري روايـة بعنـوان امـرأة بطعـم التـوت، وأنـت تتلهّـف لمعرفـة مـن تكـون هـذه المـرأة ربّمـا هـي قويـة وجميلـة ومتخلّقـة، أو ربّمـا لذيـذة كأصابـع الشـوكولا أظنّهـا إمـرأة تسـتحوذ عـلى أجمـل الشـخصيات في العـالم.. لتجدهـا في النّهايـة روايـة تتحـدّث عـن امـرأة بـلا طعـم.. أسـتغرب أحيانـا لمـاذا يقحـم الكاتـب نفسـه في عـالم عاهـر يصـف فجـر أنثـى كأنّـه ماسـة نـادرة وثمينـة .. في المـرّة القادمـة لـن أشـتري روايـة تافهـة كهـذه سـأكتفي بروايـات أجاثـا كريسـتي رفيقتـي الأبديـة... آه حقّـا أنـا دودة الكتـب إني لا أسـتغرق أكـثر مـن سـويعات قليلـة لإتمـام كتـاب مـن خمـس مئـة صفحـة.

بينـما كنـت أحـدّث نفـسي أمـام المـرآة .. لاحظـت كـم فقـدت مـن وزني مؤخّـرا والقليـل مـن جـمالي أصبحـت ذابلـة كمريضـة بالحمّـى عينـاي غارقـة في لـون عسـلي حزيـن ووجهـي شـاحب وخـدودي محمـرة، عـلى يمـين وجهـي بعـض البثـور المزعجـة وعـلى جبينـي أيضـا... تنهـدت بقـوة أكـره أن أرى غربـاء يقتحمـون وجهـي الجميـل...

كـما أكـره أيضـا أن يقتحمـوا حيـاتي لأنّنـي متأكّـدة مـن أنّهـم سـيدمّرون شـيئا مـا قبـل أن يغـادروا... فـكلّ الذيـن مـرّوا بحيـاتي أذوني كثـيرا.

وحـده أخـي غـادر دون أن يؤذينـي غـادر وتركنـي مكسـورة أحمـل الكثـير مـن الحـب والشـوق إليـه... كان موتـه صدمـة لم أسـتيقظ منهـا لحـدّ السـاعة ولا أظـنّ أنّنـي سـأفعل، مـرّ عـلى موتـه مـا يقـارب خمسـة أشـهر.. وجهـه الوسـيم عالـق في ذاكـرتي سـمرته الخفيفـة عينـاه البنيـة كلـون قهـوتي وأنفـه الجميـل لم أقـوَ عـلى تصديـق أنّـه رحـل كنـت أصرخ بوجـوه النسـوة اللـواتي جئن للعـزاء لا تبكـوا كفّـوا عـن الـصراخ أنـتن تكذبـن أخـي لم يمـت لم يمـت لـن يفعلهـا لـن يرحـل، يعـرف أنّنـي أحبّـه لـن يـترك أمّـي... صراخـي جعلهـن يمسـحن دموعهـن الكاذبـة التـي تمثّلـت عـلى هيئـة امـرأة خائنـة تضاجـع عشـيقها في أفكارهـا بينـما جسـدها بـين ذراعـي زوجهـا الغبـي.

في المسـاء كان الجـوّ بـاردا يوحـي باقـتراب الشـتاء فصـلي المفضـل حبيبـي الـذي أحبـه رغـم برودتـه، رغـم قسـوته إلّا أنّـه ينطـق حبـا، رذاتـه العذبـة توقـع في قلبـي عشـقا أزليـا لا يفهـم جنونـه غـيري يعانقنـي وأنـا أبتـل أرتعـد عنـد لقيـاه ترتبـك حـروفي أتلعثـم يحمـر أنفـي وخـدّاي تتـورّد شـفتاي ...

وأصاب بالحمّى تماما كالحب لكنّي أفضّل المطر على الحب... رشفت ثاني قطرة من قهوتي السّادة ورحت أنظر إلى ابن جارنا الصغير عبر النافذة وهو يبني بيتا بالحجارة أتابع حركات يده الضّخمة التي لا تشبه سنوات عمره في شيء وأنفه المحدّب وجبهته العريضة ذكّرتني بزوج صديقة أمّي السكير ... أتى صوت أمّي كمنبّه منعني عن جريمتي الّتي كدت أرتكبها في حقّ الطفل عبر أفكاري.

أمّي: سوار خذي من يدي سلّة الملابس ضعيها في الغسالة هيا أكملي قهوتك على عجل.

أنا: أمّي القهوة لا تشرب على عجل وإلا ستفقد لذّتها!

أمّي: آه منك كل هذه الفلسفة من اللعين الفيس تبا له ولمخترعه الغبي .

في نفسي : مارك عزيزي لا تلمني على شتائم أمّي المتكرّرة هي ببساطة تكرهك جدّا ...

أكملت فنجاني لآخر قطرة ونهضت بتثاقل أداعب ظفيرتي الطّويلة وضعت الملابس في الغسالة اتّجهت إلى المطبخ غسلت أواني القهوة وشرعت في تقطيع الخضر لأحضر العشاء باكرًا، أريد أن أدّخر أكبر وقت ممكن للقراءة .. شغلت سورة البقرة في هاتفي وخشعت معها سبحت معها بأمان إلى عالم أعرف أني لن أغرق فيه ما دمت مع اللّه...

إن الحزن إمرأة غجرية تمتلك أنوثة طاغية ترتدي تنورة قصيرة وقميص شفّاف وتضع أحمرًا قاتمًا في شفتيها الجميلتين ... كلّما دنوت منها

تلطخت بها إن ضاجعتها بإرادتك فهي لن تسمح لك بالرحيل تعانقك بقوّة تسجنك... وأنا كبريائي كان شبيهًا برجل ملتحي لا يسمح لنفسه بالنظر للنّساء لذا فهو معفى من حصاراتها... لطالما حاربت وجعي بطريقتي... كنت أرتدي فستانًا أنيقًا وأقف قبالة المرآة أنظر إليّ أدقق النظر ... عينان لوزية بلون العسل يحرسهما حاجبان شديدي السواد بشرة خمرية وفمي ... إنّه حقًا فتنة دائما حملته سبب كل الفتن .. ثم شعري حقًا كم يشبه تاج الملكات أو ربما أجمل بقليل ... سبحان اللّه كم يشبه لون الغروب وهكذا أبتسم بغرور بثقة ... وأنسى وجعي ... ولأنّني أتممت دراستي الجامعية وتخرّجت أخيرا من كلية الحقوق فقد تغيّر النظام الذي كنت أتبعه وأصبحت يومياتي مبعثرة ككتاب ألقى به طفل أبله من شرفة منزلهم العالية فراحت الرياح تراقصه على لحن مزعج ... أستيقظ متأخّرة لأشرب قهوتي ثم أقوم بالأعمال المنزلية وأنزوي في غرفتي ألتهم الكتب ... فتحت حسابي على الفيس لأجد صديقتي نورهان تطلب أذاني الصاغية التي لطالما كانت رفيقتها أكثر منّي ... تسرد على مسامعي خصامها مع والدها وتطلعني على سرّها الخطير قالت: تعلمين ماذا فعلت؟ لقد حاولت الإنتحار ... كنت قد حسمت أمري أردت أن أموت أن أتخلّص من حياتي الأليمة ... صرخت بها أتعين ما تقولين؟

هل جننت؟ استغفري شهّدي توبي عودي إلى ربّك تقرّبي منه ... بدت لي مخدرة لا تفقه ما أحدثها عنه خاصة وأن والدها القاسي قد أضاف

إلى حياتها وجعا آخرًا إلى الخمس وثلاثين وجعا السابق ... كم أكره قصة حبها كما تسمّيها هي وأسميها أنا قصة عرجاء تمشي على ساق واحدة تنهض كل مرة لتسقط بأكثر قوّة، لم يشعرها بحبه لم يدلّلها لماذا؟ تحتمل كذبة لسبع سنوات كاملة بالكاد أصدق قد بلغت من العمر ستة وعشرون سنة ولازالت تغدق عليه مشاعرها ... التي لا تنتهي... أغلقت هاتفي ورحت أتذكّر قصّة حبّي أنا ...

كان ينظر إلي بل يخترقني يلجني دون أن يطلب إذنًا منّي ... عيناه السوداوتان لطالما أربكتني ... وسببت لي وخزا بقلبي كل ما رأيته كنت أتجرّد مني ... يجلس بآخر كرسي في مكتبة الجامعة يقابلني ويمارس طقوس حبه، بل عيناه تمارس ضدّي أقسى أنواع التخدير يلتهم شكلي ملامحي وعيناي يحفظها يخبئها ثم يقف بتثاقل يمشي ببطء أتابعه وأتابع قلبي يمشي معه يتبعه يستل علبة السجائر من جيب سرواله يدخّن ثم يعود ويعود قلبي على أعقابه.

على سرير واحد ووسادة واحدة وقلب واحد جسدينا أنا وابنة خالي «وافية» تلمع عيناها الجميلة وهي تتحدّث عن حبيبها أيمن تخبرني أنها ستكرهه لو غاب عن الجامعة يوما ... تنظر بحيرة حيث أنظر تجد اللاشيء! تقول بنفاذ صبر تفكّرين به بذلك اليمني؟ صاحب العيون السوداء الغبي الذي لم يعترف لك بحبّه حتى الآن !

أجيبها دون أن أحرّك عيناي، لكنه فعل.

وافية: متى فعل!

أنا: عيناه فعلت... ملامحه الغاضبة حين يراني مع شاب من الجامعة فضحت غيرته... ثم إني لا أريد منه سوى أن أحبّه.

تقف متأفّفة تستغرب حماقتي كما تسمّيها أبتسم أنا لطيفة الّذي زارني ستّون مرّة بالدقيقة أتكور حول نفسي وأنام بين سواد عيناه الحب .. ذقته منذ عرفتك واقتحمت عالمه على يدك ... لن أنسى أبدًا عيناك الجريئة التي تهزمني في كلّ مرّة كنت تحب خجلي تحب ارتباكي في حضرتك بل وتعجب لكونك سببا في ضعفي ... كم بت أقصّ على نفسي أمنية بريئة وهي أن أفرّ بك من حزنك عيناك وطن جريح وأنا أردت أن أداويك ... تقف هناك تستند على حائط المكتبة تطالعني... وأنا أثرثر وأبتسم ... تخرج علبة السجائر تستل واحدة تحتويها بقوّة بحب تضمّها إلى شفاهك تمتصها بعنف ثم تبعدها قليلا... تنثر دخانها.. أنتفض خوفا ... يسألني قلبي أن أركض نحوك أن أخلصك من حزنك بل أن أسرقه منك أريد أن أحمله بدلًا عنك وأنت المغترب الذي يعيش بعيدًا عن أهله يتلقى أخبار الحرب والموتى كل يوم بل كل سويعات .. لمحت نظرتي أظنك فهمت محتواها ابتسمت لي بقهر ومضيت، يتبعك قلبي دائما.

تقول وافية بعد أن اقتنعت بحبّي له أنه عليّ أن أمنحه بعضا من نظراتي وأن أكف عن خجلي الزائد أطمئنها بأنني في الغد سأقاوم خجلي وأنظر إليه بحب ... لكني أفشل في كلّ مرّة فأجدني أفر من ملامحه

مـن عيونـه الحزينـة أخـاف أن يركـض قلبـي نحـوه أن تمـضي كل أعضـائي إليـه وتخـبره عنـي وعـن عشـقي ...

كنـا نكتـب درس القانـون الدسـتوري وكان يخترقنـي كالعـادة وأنـا أرتـدي حجـاب وخـمار وردي ومعطـف أسـود ...بـدوت واثقـة مـن نفـسي كثـيرا لكـم كنـت سـعيدة وأبحـر في عـالم الحـب لـولا دخـول بنتـين والتحاقهـما بطاولـة السـيد حبيبـي الـذي لا أعـرف حتـى اسـمه ... شـعرت بالغـيرة وهـو يصافحهـما ولكنّـي لم أظهـر ذلـك طمئنتنـي وافيـة بأنّهـن زميـلات لـه فقـط وأنـه عـليّ أن أكـون بعقـل أرجـح ... حاولـت أن أهـدأ ... لم أكـن أخجـل مـن النظـر إليـه وهـو رفقـة زميلاتـه بـل كنـت أنظـر بقـوّة أغضبنـي حقّـا أن أرى يـده تلامـس يـد إحداهـن وهـو يريهـا شيء مـا في هاتفـه ... حملـت أشـيائي بعنـف وخرجـت مسرعـة وعينـاه هـذه المـرة تتبعنـي لحقـت بي وافيـة وظـلّ قلبـي هنـاك ...

نزلـت السـلم عـلى عجـل واتّجهـت نحـو الكافتيريـا رحـت أدنـدن لحنـا مبعـثرا كخواطـري لم أتحمـل أن يلمـس يـدا غـير يـديّ ...

اسـتوقفني زميـل لنـا في الجامعـة أردت أن أنتقـم مـن لمسـة اليـد تلـك وأخونـه مـع حمـزة لكنـي كنـت أخـون نفـسي فقـد تركـت قلبـي في المكتبـة وجئـت أحـدث حمـزة دون حـواس ... كان يلتهمنـي بنظراتـه وأخـبرني أنـه رسـم مـن أجـلي أرنبـا جميـلا لحظتهـا خطـرت ببـالي فكـرة فطلبـت منـه أن نلتقـي غـدًا صباحًـا بالمكتبـة ويريني الرسـمة ابتسـم بفـرح تركتـه ومضيـت

أبحث عن رفيقتي التي أضعتها منذ قليل.
لم تكن وافية صديقة لي وفقط ... كانت روحًا لي أحببتها حبا تعجز كلماتي أمامه ويعجز لساني عن وصفه ... كانت قطعة منّي وجزءًا لا يمكن أن ينفصل ... لم نفترق يوما كنت أنام أحضنها كأني أخاف أن يسرقها مني الزمن أو يحرمني قربها ... كانت تستيقظ قبلي تحضر قهوتنا وتأتيني بها إلى فراشي تقبلني تدلعني فأفرك عيناي بكسل أطلب منها أن تمنحني خمس دقائق أخرى فتغضب وتزيل الغطاء وتدغدغني، أنهض وأنا أرميها بالشتائم أقبلها أحضنها بقوّة نشرب قهوتنا نتزين ونخرج إلى وجهتنا ... لم تتخلّى يدي عن يدها أبدًا كنا نثير الحيرة في عقول البشر يلقّبنا الجميع بالتوأم الجميل ... نمشي معا نبتسم في نفس الثانية نضحك نسقط نشعر بالجوع في آن واحد ونركض نحو المرحاض في لحظة واحدة ... تفهمني دون أن أنطق وأفهمها دون أن تلمح .... هي وفائي وأنا سوارها الذي لم تخلعه يومًا ولا ثانية واحدة ... ولم نكن بحاجة لأي صديقة أخرى استغنينا عن العالم لأننا ببساطة كنّا العالم.
أخبرتها عن موعدي مع حمزة غضبت كثيرا واتّهمتني بالغباء وأنني أثير المشاكل أجبرتها على الصعود معي إلى المكتبة دخلنا اخترنا طاولة في منتصف المكتبة كنت في كامل أناقتني وأنا ألبس الأحمر الذي أحبه كثيرًا .. وضعت ماسكارا ولون خفيف على شفاهي وبيدي رواية لأجاثا كريستي ... وما إن جلسنا حتى صرخت وافية انظري إنه هو اليمني انظري ... لكني لم أنظر كنت غاضبة منه ثم إني لا أريده أن يقرأ حبي

لـه سـأعذبه كـما فعـل، أمرتهـا أن تكـفّ عـن النّظـر اليـه وأن تنتظـر معـي حمـزة....

هل جننت إنّه ينظر إليك كيف تجلسين مع غيره ؟ سيغضب

لا يهـمّ هـل نسـيت مـا فعلـه هـو مـع البنـت الحقـيرة .. سـأجلس أيضـا مـع حمـزة وأمسـك يده.

ومـا إن أكملـت عبـارتي حتـى لمحـت حمـزة يدخـل البـاب التفـت نحـو صاحـب العيـون السـوداء لأجـده يحتوينـي بنظراتـه ثـم يحيينـي بيديـه ... أنـا لا أصـدق إنـه يحيينـي لم أرد التحيـة لفـرط دهشـتي ثـم يشـير لي بـأن تعـالي! ... هـل يقصـد مـا يقولـه هـل حقّـا ؟ يريـدني لا أصـدق ... لكنّـه رفـع يـده مـرّة أخـرى وأشـار إلي نهضـت كالمنومـة وصـل حمـزة وقـف أمامـي مـدّ يـده وهـو يبتسـم مضيـت أنـا تجـاوزت يـده ابتلـع ابتسـامته ... أمـشي بحيـاء أكاد أسـقط كسـكير كنـت أخطـو خطـواتي ...وكانـت عينـاه تراقبنـي بهـدوء كـما يفعـل دومـا ... وصلـت أخـيرا كـم كانـت الطريـق طويلـة ...ثلاث طـاولات أحدثـت بي تعبـا ... جلسـت أقابلـه أرتعـش في حضرتـه ... ابتسـم لي أزاح نظارتـه الطبيـة أغمـض عينـاه ثـم فتحهـما وأعـاد النظـارة سـألني بصوتـه نعـم صوتـه كان رجوليـا....

كيف حالك؟

بخير.....

الأهل... الصحة تمام؟

الحمد للّه

أيّ سنة انتِ؟

أولى

حقوق؟

نعم

_إيش عاملة مع الجو ...؟

عادي

المطر ما تناسب صاحبات الكعب العالي صحيح هههههه (بخجل).

كنت أجيبه كتطبيق برمج على كلمة الحمد للّه وعادي

وأتى صوت وافية كمنقذ.

السلام عليكم... جلست بقربي واحتضنتني بابتسامة تقول فيها لا تخجلي أنا هنا ..... وأخيرا أنا أجلس معه تفصل بيننا الطاولة وفقط قال بطريقة مازحة يخاطب وافية: صديقتك خجولة كثيرا أجبته وافية كعادتها تعرض علاقتها بي على كل من مر بنا.. أخ سوار حبيبتي إنها ابنة عمتي أبرز خصلة فيها هي الخجل ...

صفة جميلة حقا .. بالنسبة لي الفتاة التي لا تخجل هي أصلا تعتبر ذكر لا أنثى...

تدرون ما كان اسم حبيبي اسمه هيثم ...هيثم علي

يومها طلبت منّي أن نخرج سوية ودّعت وافية وخرجنا من المكتبة كنت في أشد لحظات خجلي ... وقفنا ننتظر الحافلة ولأنه أول يوم أقف

إلى جانبك فقد كنت أرتعش حياءً نظراتك يا هيثم لطالما عذبتني كنت تنظر بحب بلهفة بشوق وكنت أردّ عليك بابتسامة خجولة وأنزل رأسي لا أجرؤ على النظر إليك لأني متيقنة من أني سأسقط على أحضانك ... وأخيرا أتت الحافلة أشرت بيدك أن أصعدي أوّلا ... لم يكن هناك كرسي فارغ كانت كل الكراسي محجوزة .. وقفت بقربك انطلقت الحافلة وكنت أتمايل أكاد أسقط قلت لي ،،، تمسكّي بي.

شعرت بحرارة جسمي تنبهني أن اهدئي سيحدث انفجار ... وأشرت بوجهي لا .

هيا كي لا تسقطي.

لا أريد وحتى إن سقطت.

أزلت نظارتك وقلت بهدوء وبكلمات واثقة... لن تسقطي وأنا موجود....

أحببتك أكثر لحظتها تمنيت لو كان بإمكاني أن أعانقك بقوة أن أشتم عطرك أكثر وأكثر ... وصلنا لوجهتنا تجولنا قليلا ثم أكلنا شاورما وكأنّك كنت تعرف حبي لها ... ونحن ننتظر الحافلة للعودة وقفت أمامي تقتلني يا هيثم بعيناك آه كم أحبها كم أحبك كم أتوق للنوم بها ... سوادها ليل وأنا أحب الليالي .

سوار

آه

بمَ تفكرين؟

(بك يا هيثم بك) لا شيء!

انظـري هنـا !... نظـرت حيـث يشـير كان يقصـد بقعـة لامعـة بمعطفـي سـقطت مـن خـماري الـبراق ... أردف وفي وجهـك أيضـا ... هـذا كي تتجنّبـي شراء هكـذا ملابـس في المـرة القادمـة...

فجـأة أمسـك بيـدي ونظـر صـوب عينـاي لمحـت حزنًـا وحبًـا في سـواده ... احـترت كيـف لـه أن يجمـع بينهـما كيـف اسـتطاع أن يرسـم لوحـة كهـذه؟ ربّـاه أنـا أحبـه ... مـضى بي نحـو موقف السـيارات فتـح الباب وجلـس بجانبي انطلقـت السـيارة ... قـال؛ سـوار... نظـرت إلى قاتلتـي إلى عينـاه همـس لي أحبـك أحبـك أحبـك ... أردت أن أرقـص حبـا أن أطـير فرحـا سـكنت شـفاهي عـن النطـق وشـلت أعضـائي، قلبـي وحـده كان يعلـن عـن ميـلاد حيـاتي يومهـا شـعرت حقـا أني ولـدت كان ذلـك في 15 فيفـري لـن أنـسى هـذا أبـدًا حبيبـي لم يخـتر عيـد الحـب ليعلـن لي عـن حبـه بـل اختـار اليـوم الـذي يليـه كان مميـزا في كل شيء كان يخـبرني أن حبنـا الـذي عشـناه مـن خـلال النظرات أعمـق وأصـدق وأطهـر مـن كميـات الحـب في كل العـالم ...ونطقـت أخـيرا: هل أنت متأكّد ..؟

بـل متيقـن ... هـل تتوقّعـين أن تسـير إليـك كتلـة الحـزن هـذه دون دافـع حـب؟

عـادة أشـعر بالكراهيـة اتّجـاه أشـخاص لم يحـدث بيننـا حـوار سـابق أو حتـى لقـاء، لكنـي منـذ أراهـم أنفـر منهـم وأتحـاشى الإختـلاط بهـم .. وقـد أحـب

آخريــن دون ســبب كصديقــي عــماد .. عرفتــه في إحــدى معــارض الكتــب الضخمــة في العاصمــة كان دائمًــا صديقًــا مميــزًا لي يحــب الكتــب مثــلي يقــرأ كتابــاتي وينصــت لي متــى مــا احتجتــه ... لكننــي كنــت دومــا أختفــي دون أن أعلمــه أغيــب فــترة لأجــدني أشــتاق إليبــه فأســارع للبحــث عنــه ... تذكرتــه اليــوم فتحــت حســابي عــلى الإنســتغرام وتركــت لــه رســالة أقــول فيهــا: لقــد اشــتقت لــك ...

لأجــده في المســاء يــرد عــليّ... تشــتاقين لي يومــا وأشــتاق إليــك كل الأيــام يــا شريــرة.

أنا شريرة لمَ؟

دوما تغيبين!

أختار أن ألوذ بعذابي وحدي

_دعينا نتقاسمه ..

أخاف على العالم من حزني

كم أنتِ حنونة حتى وأنتِ مقيّدة بأغلال الحزن

لكنّني محررة من قيود البوح

لكنك بهذا تمنحين الحزن فرص لا فرصة!

أنا أقتله أخنقه كل ليلة أمارس معه حربا لم أخسرها يوما...

أنتِ قوية ...ذكريني ماذا اشتهت أمك وهي حامل بك!

... نوتيلا ههه كذبة خفيفة

ههه أكيد شيء خاص

إنه العسل يا غبي

دمت متواضعة

الحمد للّه شعاري التواضع

ماذا تفعلين يا مغرورة

أشاهد غامبول

ذلك الأزرق الأبله

أحبه كثيرا

ههه أوك سأشاهده أيضا لأكتسب شخصيته.

الليـل ... المطـر والوحـدة ... الثـلاثي الـذي يلـد الحنـين ... كل الـولادات كانـت نتـاج تـزاوج إثنـين أمـا الحنـين فهـو شيء ربمـا وليـد المطـر ... الليـل ... الوحدة الموسـيقى لكنـي في هـذه اللحظـة أشـتاق لمـا مـضى صـوت المطـر يذكـرني بـبرودك وسـواد الليـل يذكـرني بعينـاك أمّـا الوحـدة فبعـدك لم أعـد أحظـى بسـعادة الإجتـماع بعـدك أنـا دائمـا وحيـدة .

لا أدري لِمَ ترتبط بكل شيء أو ربما كل شيء يذكرني بك ...

اخترنـا مكانًـا هادئًـا في المكتبـة التـي شـهدت كثـيرًا عـن حبّنـا ... كان الجـو بـاردًا والأمطـار غزيـرة .

... هيثم

يا عيون هيثم

متى تقلع عن التدخين؟

تعرفين الإجابة حبيبتي ... عندما تقلعين عن إحراقي.

لا تراوغ

لا تعاندي قلت خفّفي مكياجك لا أحب هذا اللون على شفاهك أغار...

وأنا أغار من سيجارتك

(يضحك) غبية تغارين من سيجارة

هل تحبها أكثر مني؟

سؤال غبي حقا

إن خيروك بيننا من ستختار؟

كلاكما

بل إحدانا

السيجارة!

أقف غاضبة: تختار السيجارة إذن فلتبقى أنت وهي ومارسا الحب بدلًا عني .

يمسك يدي ويجسلني وهو يقهقه ضحكا _اجلسي صغيرتي كم أنتِ غبية أختار السيجارة لأنك جزء مني وأجزائي لا تغادرني

مراوغ

تائه أنا في شوارع ملامحك .. عيناك صنعاء ... شفاهك سبأ

أبعد عيناك عني لا تنظر هكذا تعي أنني أخجل ..

لا تمنعيني من طقوس عشقي يا بخيلة واقرئي على مسامعي إحدى كتاباتك.

يتوه بين ملاحي بنظراته يصوب سهما آخرًا كأنّه لم يكتف من كميات هذا الحب كأنه يريد أن يقضي على بقايا قلبي .

أقول : تتلاشى كل الخواطر في حضرة عيناك.

يضحك بقوة : هههه أنتِ حقا شيطانة.

هيثم لم يكن يوما شخصا عاديا بالنسبة لي كان ملاكا يمشي كالبشر ... كان طيفا لا أصدق بحقيقة لمسه كان حبا أعيشه ولا أقتنع بوجوده ... كان حلمي ويقظتي و قلبي وحبي و وجودي .

لم يكن طويلا كما رسمت فارس أحلامي لم تكن عيناه عسلية ولا كانت لحيته خفيفة لم يكن يرتدي سراويل الجينز ولا ملابس الفاشن التي أحبذها لا يمشي كالممثلين ...

كان متوسط الطول شديد سواد الشعر والحاجبان والعينان آه عيناه كانت حربي وسلامي وآماني وخوفي كانت كوطن حزين ... لحية مبعثرة غير مهذبة يمشي بتعب كأنّه يلقي بهمه على الأرض أو ربما شبهت مشيته كثيرا بالآلات المنظمة لم يكن ليلتف وراءه أو إلى جانبيه كان يمضي مصوبا نظره للاشيء الذي أمامه لا يتكلّم هادىء، حتى يراني صدفة فيتغير من رجل آلي إلى راقص باليه، يرتبك يلتفت إلى كل الجهات أصطنع االامبالاة وكأني لم أره أكمل ثرثرتي يتصل يدقّ قلبي كأني أحبه لأوّل مرّة...

هيثم

يا عيون هيثم

كيف حالك حبيبي؟

أشتاقك

(بمكر) أين أنت؟

فتشي

أدعي البحث

أين أنت لا أراك؟

حبيبتي عمياء ... التفتي وراءك.

ههه حسنا رأيتك

انتظريني

يـأتي مبتسـما رغـم أحزانـه الضخمـة يصـل يسـلم عـليّ، ثـم عـلى وافيـة لتسـتقر عينـاه عـليّ كالعـادة وكـما يطلـق عليهـا هـو طقـوس حبـه ، انضـمّ إلينـا صديقـه الفلسـطيني ومضينـا الأربعـة نحـو كليـة العلـوم التـي يـدرس بهـا هيثمـي .

نختلـس أنـا وهـو النظـرات ننـسى أن غريبـين معنـا ... غريبـين عـن شـعورنا لا يفقهـان مـن حبنـا سـوى كلـمات بسـيطة.

أحمد الفلسطيني هاي وينكم؟

نبتسم كلنا ...

هيثم: إيش دخلك يا أخي؟

أحمد (يضحك : يا أخي خفت تضيعو طريقكم.

تبتسم وافية (بمكر): لا يا أحمد لا تزعجهم

ننضم بجسدينا إليهما لكن قلبينا معلقين ببعضهما كتوأم سيامي.

وصلنا حيث يدرسان ودعناهما بعد أن حذرني هيثم من البقاء في الجامعة أصر عليّ أن أذهب للبيت وأنام حتى يكمل الدوام ويتصل بي ...

وما إن ٱختفينا عن أنظارهما حتى رنّ هاتفي.

حبيبي

وطني

قهوتي

سيجارتي

_(بغضب)غبي

معتوهة ... أين وصلتِ ؟

أمام المكتبة

بسرعة وإيّاكِ أن تنظري لأحدهم

أنا أصلا عمياء في غيابك

والآن

أمام الباب الخارجي

سواري ٱنت وطني تذكّري هذا !

والوطن لا يخان ؛

ولا يخون

... والآن ؟ أمام الباص

اصعدي

أوك باي حبيبي.

انتظـري لا تغلقـي حتـى ينطلـق وإذا أغلقـت فانظـري في جيـب معطفـك تركـت لـك شـيئا حتـى لا تجـبري عـلى الـكلام مـع أحدهـم في الحافلـة ..... أغلقـت هاتفـي مجـبرة حتـى أمنـع نفـسي مـن النـزول مـن الحافلـة والعـودة إليـه، لكننـي لم أقـدر عـلى منـع نفـسي مـن إطـلاق ضحكـة هسـتيرية وأنـا أتذكـر كلامـه وغيرتـه لكـن سرعـان مـا تـوردت وجنتـاي خجـلا وأنـا أرقـب شـيخا ينظـر إلي ويحـرك رأسـه يمنـة ويـسرة حـيرة.

سـارعت إلى تفتيـش جيبـي فوجـدت رسـالة معطـرة بعطـره الـذي لم ولـن أنـسى عبقـه مـا حييـت فتحتهـا فوجـدت كلـمات رسـمت عـلى ثغـري بسـمة لم تمـحَ إلا بعـد دخـولي لمنـزلي منعتهـا حتـى أتفـادى أسـئلة أمـي ...

قم للأهراسية وأروني عشقها

ولا تلمني بل لم بهاها وحسنها

فمال قلبي عن الهوى قد انتهى

فقد أخذته وحازته لها

كفراشة تتراقص على تغري وتسلب النهى

وكنحلة تلسع الفؤاد إن سهى

عنها أو مع غيرها قد سرح أو لهى

فيارب اجعلها معي هنا وعند سدرة المنتهى

حبيبتـي أتدريـن ؟؟ أنـت تشـبهين اليمـن.. ههـه فيـمَا.. جميلـة كاليمـن مغـرورة كاليمـن شـامخة كنخـل صنعـاء.. مـاذا أيضا...حنونـة كوطنـي رغـم الألم يبقـى مـلاذي الآمـن ورغـم الحـزن يبقـى فاتحـا ذراعيـه لاحتضـاني كـم أحـب اليمـن وكـم أحبـك يـا وطنـي.

كم تحبني؟

أطلي على النافذة وشاهدي قطرات المطر الغزيرة.

لمَ!

انهضي

ذهبـت بخطـى متكاسـلة أغالـب النعـاس الـذي لطالمـا زارني إن شـعرت بالآمـان ومكالمـة مـع هيثـم كانـت كل الأمـان.

اااممم وبعد

أخرجي يدك

غريب

افعلي ذلك

فعلت

تلـك القطـرات التـي تسـاقطت بيـدك هـي حبـك لي .. أمّـا الباقـي فهـو حبـي لـك يـا جميلتـي

مجنوني ...

وأنت !

أمسـك بيديـك ذرات الرمـل وأنـت بالصحـراء حبـك لي وباقـي الرمـل حبي لك

هههه فكرتي يا غبية لا تسرقيها حمقاء

أحبك

ونـام هيثـم كالعـادة عـلى صـوتي كنـت أسـمع شـخيره وأبتسـم ... كثـيرًا مـا اسـتغربت لمـاذا ينـام عندمـا يحادثنـي ... كنـت أضـع الهاتـف بجانبـي وأنـام لأراه في حلمـي.

أيقظتنـي رنّـة الهاتـف الخاصـة بهيثمـي ... ابتسـم قلبـي وأجبـت بصـوتي المتكاسـل ...

صباح الخير روحي

بطلي تنويم مغناطيسي

ماذا؟

تنويـم مغناطيـسي بطليـه... صوتـك أمـان حنـون زيـادة يخليـني أنـام عـلى السريـع .

أوك سأمنع عنك صوتي

تريدين موتي

سلامتك بعيد الشر حبيبي

بعدك شري

.. دخلنـا أنـا ووافيـة الجامعـة كعادتنـا نضحـك دون سـبب نخلـق مـن أتفـه الأشـياء سـببا مضحـكًا نراقـب هـذا وتلـك ... كانـت آخـر مـرّة كلّمنـي فيهـا هيثـم منـذ أسـبوع لأنـه كان مشـغولا بتسـوية أوراقـه في العاصمـة ويطمئننـي ببعـض الرسـائل وكتـب لي صباحـا لقـد عـدت أيـن سـيجارتي؟

بينـما كنـا نمـارس طقـوس يومنـا لمحـت عينـاه تراقبنـي أردت أن أحـدث شـيئا جديـدًا في علاقتنـا أرادت الطفلـة التـي داخـلي أن تتمـرّد عـلى قوانـين حبيبهـا أرادت أن تخـرق الدسـتور هـذه المـرة وتنتظـر العقـاب .. ربمـا لم أكـن أتوقـع العقـاب ..غـيّرت وجهتـي نحـو عبـد المجيـد ذلـك الشـاب السـوفي اقتربـت منـه وكلمتـه كل هـذا ووافيـة لا تعلـم بـأن عينـا حبيبـي تراقبنـي رأيـت عينـاه ترقصـان فرحـا فيـما كانـت عينـا الآخـر تمـوت قهـرا وأنـا أكلمـه رنّ هاتفـي عـشرات المـرات لكنـي لم أرد أردت بفطـرتي الأنثويـةأن أشـعل قلبـه غـيرة لكنـي أشـعلت روحـي قبـل ذلـك ...

هيثم

ليش خليتيني أشوفك بهيك موقف؟

(ابتسمت بخبث صبياني) أي موقف؟

واقفة مع شب يا سوار

كانت أول مرة ينطق فيها اسمي دون حرف الملكية

كان يسألني فقط عن أخباري

وأنا ايش قلت

...ـ

(بغضب) إيش قلت؟

لا تحدثي الرجال

وانت ايش سويتي

‘‘‘ـ

ايش سويتي حكيتي معو وصافحتيه

لا مجرّد حديث عادي

شوفي وراك

التفت كأني لم أره من قبل وجدته ينذر بحالة طوارىء

هيثم أنا ...

وأغلق الهاتف في وجهي

ذهبنا أنا وتوأمي وافية نبحث عن سوار جميل لي كنا جميلتان ونحن معا كم أشعر بالنقص دونها ... وهي أيضا كانت تقول لي أنا من دونك نصف وجه نصف ابتسامة نصف الأشياء لا إكتمال دونك ...

أكلنا الأيسكريم كالعادة ودخلنا مطعم فخم وطلبنا الاكل ...

_سوار ألم تفكري بما قلته لك؟

ماذا؟

هيثم ... هل تحبينه حقّا

بل أتنفّس من خلال حبه

ربما إعجاب

بل عشق

ما الذي تحبينه فيه؟

لا أدري بالضبط لكنّه مختلف.

ما المختلف فيه بربك طوله وسامته عضلاته لا أظن تقصدين صمته القاتل ؟

هيثـم غـير كل الرجـال أحـب تفاصيلـه ... لاحظتـه كثـيرا يحتفـظ بقـارورة المـاء لأكـثر مـن سـاعة حتـى يعـثر عـلى مزبلـة ويرميهـا ... لا يلتفـت وراءه... لا يشـبه شـباب اليـوم .. أحـب حزنـه... أحـب عيونـه .. أحـب ذوقـه في الموسـيقى كاظـم السـاهر وأم كلثـوم وماجـدة ... هيثـم لا يعـبر عـن حبـه كثـيرا لكنـي أشـعر بـه دائمـا .

تفضلين النوع الكلاسيكي من الرجال؟

بل النوع الهيثمي

لا تبالغي أرجوكِ أظنك مصابة بمرض الهيثمية.

وقفـت غاضبـة أفـرّ مـن كلماتهـا القاسـية هـل أنـا حقّـا مصابـة بـك يـا هيثـم؟ هـل أنـت مـرض؟ لكنـي لا أريـد شـفاءً لا أريـد دواءً يشـفيني منـك لحقتني بسرعة تشابكت أيدينا ومضينا.

_سـوار هيثـم لا يـردّ عـلى اتصالاتـك ولا يـود مقابلتـك هـذا خطـأ لكنـك أيضـا أخطـأتِ.

_ لا تضيفي لي وجعا آخرًا لم أعد أتحمل.

_كيـف تثيريـن غـيرة رجـل مثلـه .. إنـه مخيـف هـل رأيـتِ عينـاه كانتـا تشـتعل غضبـا .

_أردت أن أختبر حبه

_آسفة لكنك لم تحسني التصرف فتحمّلي العواقب.

بكيـت لحظتهـا بقـوّة بحرقـة بـألم بفقـدان لم أكـن أتصـور أن حماقـه كهـذه قـد تبعـدني عـن حبيبـي .

إحضتنتي وافية وربتت على كتفي قائلة بدون ثقة:

_سيعود صدّقيني سيعود متى ما هدأ.

لكنك لم تهدأ يا هيثم بل ظللت ثائرا أصبح حبك صمتا ودفأك باردًا أعي حقا أني تماديت في أخطائي فلم تكن تلك المرة الأخيرة أتذكر حين جلسنا أنا ووافية مع زميلين لنا في المكتبة ورأيتك يا هيثم تلعنني في صمتك تحتقر فعلتي بسكون ... كان ذلك بعد هجرانك لي بشهر .. ورأيتني أبتسم فلم أكن من النوع الذي يظهر حزنه أعرف يا هيثم أنك صعقت لحقيقتي التي لم تكن سوى تمثيل ...

طرقت أمّي الباب طرقا عنيفا ودخلت قبل أن أردّ قائلة بغضب:

_ نورهان تقول إنك تتجاهلين اتصالاتها واخرجي من غرفتك قليلا ألم تملي الوحدة ..؟ ثم خرجت

كيف أملها يا أمّي؟ كيف أمل وحدتي؟ وهي تلازمني منذ رحيلهم... لقد اعتدتها ولم تعد تزعجني بل بات التواجد مع البشر يسبب لي الإختناق ليتك تعلمين يا أمّي كميات الوجع الذي أخبئه خوفا عليك مني! ...

لازلت أتعثر بهم يا أمّي يتلوهم عقلي في صلاتي دون أن يذكرهم لساني... أرتبك إن مضت ذكراهم بطريقي ...

حدثت نورهان التي غضبت مني لإهمالي لها لا تدري أني أعيش على جسر يشبه جسر قسنطينة ما قبله يؤلمني وما بعده يخيفني لا تدري أن الماضي ثقب بأذني لا يبرأ ربما يتزين بقرط لكنه في النهاية لن يبرأ ...

أخبرتني أنها انفصلت عن حبيبها الذي ألقبه بالسافل وأنها تريد أن تودعني قبل أن تنتحر. في البداية دخلت في هستيريا من الضحك لأني لم أصدق فكرة أن تنتحر أنثى من أجل رجل ولكني صدمت بالصورة التي أرسلتها عبر الفيس علب دواء بحوزتها ... رجوتها باكية أن تكف عن حماقتها وتستغفر اللّه ... لم تستجب لندائي ولم تعره اهتماما ولو تافها لم أفكر لحظتها سوى في عماد صديقي عماد صاحب الحلول اتصلت به على عجل وأعطيته رقمها بعد أن سردت له قصتها باختصار ...

كالعادة لم يرفض عماد طلبي بل قابله بالترحيب واتّصل بها ليلا ليطمئنني أنها أحسن لكني لم أرضَ فأقنعته بأن يظل معها حتى تتحسن نفسيتها ويخرجها من هذا الضياع فأنا لم أعد قادرة على ذلك...

الليل مرة أخرى يأتي حاملا بين ثناياه حنينا قاتلا أتجرعه كله مرغمة لا أملك خيارا في رفضه ...

حملتني وافية مكرهة على دخول المكتبة فأنا لم أعد أطيقها في غياب هيثم ... كنت شبيهة بوردة ذابلة مرمية على حافة الطريق ألقى بها عاشق في لحظة خيبة ... تخليت عن زينتي لا كحل عربي لا ماسكارا ولا حتى أحمر شفاه ... لطالما أخبرتني وافية أن عيوني لا تحتاج ماسكارا لأن رموشي طويلة وسوداء وشفاهي لا تحتاج لونا فلونها الوردي الطبيعي جذاب ولا تحتاج بشرتي الخمرية لأي كريمات ... لكني يومها كنت دون هيثم أرتدي سوادا في غيابه أقيم عزاءً أحضره وحدي ... تركتني ومضت دون أن أسألها إلى أين ... وضعت رأسي على الطاولة ورحت أكتب بعض

الكلـمات عـلى دفـتري ...

_تبدين حزينة ما بك؟

جـاء صوتـه كزلـزال عنيـف ضرب بمدينـة قلبـي حطـم صمتهـا... حاولـت أن أتصنـع القـوة والثبـات.

_لاشيء (ببرودة)

_لاشيء إذن لمَ وجهك مصفر هكذا، هل أنت مريضة ؟

_نعم مريضة

_ممّ تشكين؟

_أشكو غيابك .. بعدك وقسوتك ...

_اممم مادام هذا هو السبب فلا شيء يستحق (بسخرية).

نظـرت إليـه بانكسـار ثـم أخفضـت رأسي .. يشـعل سـيجارته ويكمـل بأكـثر سـخرية :

_سـأنادي وافيـة لتسـاعدك عـلى الذهـاب إلى العيـادة أظنـك أكلـت شـيئا فاسـدا .

لم أعد قادرة على تحمل سخريته فقلت بصوت أقرب للبكاء :

_لماذا ... لماذا تفعل بي هذا ؟

_ماذا ... لم أفعل شيء !

لمَ رحلت عني؟

_لأنك أردت هذا

_لا لم أرد أن تتلاعب بمشاعري

ضرب يده على الطاولة بعنف وشرارة الغضب تتطاير من عينيه التي كانت دائما نقطة ضعفي ... لم أتوقع يوما أن تكون مصدر خوفي ...

_ماذا عن مصافحتك لشباب آخرين .. ألم يكن ذلك تلاعبا بمشاعري... ألم يكن رفضك لمسي في الحافلة وقبولك الحديث مع شباب آخرين طعنة في قلب أحبك وجعل منك وريثته الشرعية،،،

كنت أعلم أن ما قاله صحيحا وأن غضبه هذا حق أخذت نفسا عميقا ثم واجهت. عينيه فإذا بتلك الشرارة يقل لهيبها فأنا أيضا كنت نقطة ضعفه دائما وقلت : _آسفة أعذر حماقاتي أردت فقط أن أثير غيرتك . أن أشعر بحبك أن تكون ثائرا في حبي مللت صمتك القاتل يا هيثم !

_هل كان علي أن أثبت حبي لك ألم تقرئيه في عيوني ألم يخبرك به قلبي ألم أجعل قلبي وعيوني حارسين لك ..ألم أخبرك أنك وطني ...؟

_لكني أنثى لا ترضى مهما أغدقت عليها من مشاعر ... أنثى لا تقنع أبدا .

ابتسم بحب بل كانت ابتسامته أقرب إلى الرجاء لم أفهم نظرته وقتها لكني اليوم أفهمها أراها واضحة تدعوني أن أشعر به أن أكف عن تصرفاتي الصبيانية أن أعي أنه رجل محطم منكسر مغترب ... إلا مني (مد يده لي) قائلا _ هيا بنا أوّلا نمحو هذا الإصفرار من على وجهك... هل تريدين طبقا من الشاورما ثم بعدها كوب قهوة دافئ ورواية نقرأها معا قصيرتي ...

دخلنا المدرج جلسنا في الصفوف الأخيرة يلتصق جسدينا كالعادة كأننا تمنينا لو خلقنا شخص واحد .. نلتهم أصابع الشوكولا بشراهة ثم علب البوشار والحلوى نضحك كما لو كنا نشاهد أقوى أفلام الكوميديا. .. لا نعير اهتماما بمن حولنا ولا حتى بأستاذ القانون الإداري الذي كان فظا ومغترا وشديد القسوة ... نأخذ عشرات الصور في هذا السيلفي نبتسم في هذا أنظر إإليها بإزدراء وتقابله برجاء ... في هذا تنظر لي بغضب وأقابل نظرتها بخوف ... كنا نمثل جل الأدوار لكننا نسينا أن نمثل دور الخيانة والغدر والبعد ... كل من عرفناهم أبدو حيرتهم من علاقتنا لا نرضى بشخص ثالث يشاركنا جلستنا نعلن حربا لكل من قال أن علاقتنا قد تنتهي كسائر العلاقات ...نشرب قهوتنا في فنجان واحد نتشارك كل شيء حتى أحلامنا وأوجاعنا ...

كانت تطلعني دائما عن غيرتها من حبي لهيثم فأنا أشتم عطره فأعرف أنه قريب ... أمر من مكان فأقول جازمة أن هيثم قد مر به... أستيقظ مفزوعة فأفهم أن هيثم في مشكل ... يؤلمني قلبي فأشعر بأن علاقتنا تصادف ميلاد وجع آخر ... ربما خلاف ربما هجران وربما لا أعرف .

كنا جالستين نثرثر كالعادة ... أرتدي الوردي الفاتح وضعت يومها مكياجا واضحا ... كريم الأساسي لاينار ماسكارا ولونت شفاهي بالوردي الفاتح ... وتعطرت ب عطر. Bella ... بدوت سعيدة وجميلة ومفعمة بالحياة وبالنسبة لي هي أكثر الأسباب التي تثير غيرة الرجل.... لمحت هيثمي قادما إلينا لا يزيح نظراته مني كأنه يشبع مني أو يغذي روحه بي

جلس بقربي وقال _ما كل هذه العطور؟

(بتصنع) : أي عطور؟

_لا تضعِ عطرا كهذا مرة أخرى!

_لمَ؟

_المرأة تتزين لزوجها وفقط ... ثم طلاء الأضافر هل هجرتِ الصلاة؟

_أبدا ... لكني أزيله فور عودتي للبيت.

تفحصني من رأسي حتى أخمص قدميّ وقال: شممت عطرك عرفت أنك هنا ... وأخرج من جيب سرواله دمية صغيرة بشكل دب قدمه لي وهو يضغط على بطنها قالت : ilove you

أخذتها بفرح التفت ناحية وافية لأريها لكنها غادرتنا لطالما أبدت استياءها منه تقول أنه ينسى وجودها ولا يعيرها اهتماما في وجودي ... سوار ..آه..تحبيني ؟؟..أممم ماذا عنك؟؟

ماذا عني؟؟ أتعلمين ماذا يحدث لشارب الخمر إن تناول جرعة زائدة... أمم في أغلب الأحيان يموت..إذا تعرفين معنى الجرعة الزائدة ال Overdose .. أكيد ..إذن أنا أريد الجرعة الزائدة من حبك ...آه تريد أن تموت أنت أيضا ...لا بل أريد أن أحيا من جديد.. فقد أحببتك حتى الثمالة ومازلت أتقبل المزيد ..سوار.. آه... أتسألين كم أحبك؟؟ أتساءلت يوما عن قيمة المالانهاية أحبك ضعفها وأكثر قليلا.. ألهذه الدرجة تحبني يا هيثم ؟.بلا أكثر يا سواري كيف لا أحبك وأنت كملكة سبأ ، أصيلة أنت كصنعاء عاصمة وطني وأنت يا سوار عاصمة قلبي فلا تتمرّدي

عليه.. وربك يا هيثم لإني أحبك أكثر من حبي لنفسي وأعشقك أكثر من حياتي...أعلم حبيبتي ولكني أخاف تقلب القلوب فحتى الشمس ستشرق يوما من الغروب ... حبيبتي لا تخذليني.. وكيف لي أن أخذلك وأنا أتلهف لك شوقا.. لكن اصبر على حماقاتي فمن يهوى الحسناء يموت عشقا.. أنت كوني كلي وكل كلي أنت وطني والوطن لا يخون فلا تخوني .. هيثمي أنا معك مادام في الجسد روح وسيبقى قلبي بعطر حبك يفوح ... سواري ملكتي أنت فوق عرش قلبي ملكة أحبك أحبكِ أحبكِ.. وأنا مهما قلت أحبك أكثر.

وإن لم أقلها يوما فلأني أحبك أكثر .. هيثم احكِ لي عن أول يوم رأيتني وأحببتني فيه عن يوم بداية قصتنا ...آه حسنا اسمعي.

و جئت من سبأٍ أشدو بقافيتي
أُهيم وجداً بذاتِ الرّونقِ الحسنِ
ونشوةُ السّكرِ تنتابُ الحشا شغفاً
كأنني تائهٌ في غفلة الزّمنِ
وهبتُها الروحَ و استرخصتُها ثمناً
لأجلها يرخصُ الغالي في الثّمنِ
لهوتُ دهرًا طويلاً في مفاتنِها
و استقبلتني بحضنٍ دافئٍ مرنِ
و عانقتني بلا خوفٍ و لا خجلٍ

و ثغرُها جاد لي بالغيثِ والمُزُنِ
حتى توارت شفاهي في شفائفهاآ

واو هيثم هيثم أحبك أحبك من صاحب هذه الكلمات الحلوة... الحلو للأحلى إنه الشاعر اليمني...عبد الكريم العفيري.
ال 12 ليلا .. نوفمبر عيد ميلاد هيثمي لم أنم ليلتها خفت أن أنسى أمر الرسالة كنت قد اشتريت له هدية منذ أسابيع مصحف فلا حب كان طاهرا كحبنا أنا وهو نقي كرضيع لم تدنسه الخطايا .... وقيتارة صغيرة فقد كان حبنا لحنا وحدنا نجيد الرقص عليه ... و عطر رجولي رائع حتى إني فكرت ألف مرة قبل أن أقتنيه ستشتمه الفتيات سينجذبن إليه أكثر... كتبتها بالأنجليزية « كل عام وأنت. حبيبي ... كل عام وعيناك وطني ... كل عام وأنا أمنحك وحدك كلي « ... لكنك كنت وحدك وجعي يا هيثم وكنت دائما أحبك ...
عانقت أبي بقوة ... كان بطلي دوما .... منحني قبلة الصباح وجلسنا نرتشف قهوتنا السادة ونقرأ أخبار اليوم ... لقد ورثت حب القراءة من أبي ... وورثت منه عيناي وأنفي .. قلبي الحنون .... عصبيتي ... عنادي ... كل شيء ... كنت دوما ابنة أبي ... أخبرني أنه وأمي سيذهبان لأداء العمرة مرة أخرى من أجل أخي رحمه اللّه وأنه قد أوصى بنا عمي « يوسف» لأنه أقربهم إلى قلبي ... كنت دائما أشتم سجائره ال lm الزرقاء تذكرني برائحة هيثم ... وكان عمي يرى في تصرفي جنونا

صبيانيا.... أكملت قهوتي ... قبلت والداي ... ارتديت حجابي وخرجت لمقابلة نورهان التي ألحت على حضوري.

قلّت اتصالات هيثم كثيرا وبات حبه باهتا لا لون له ....ذبلت عيناه مؤخرا وطالت لحيته زيادة عن اللزوم... ارتخت كتفاه وازداد وزنه .... كان مهملا كحديقة مليئة بالأعشاب الضارة والأشواك .... لزم الصمت لم يخبرني عن سر حزنه ... ربما كان معلنا ... اليمن جريح يبكي موتاه. لكن هذا لم يكن أمرا جديدا... حاولت أن أخفّف عنه فكان يصدني أتصل فلا يرد أرسل عشرات الرسائل فلا يرد أيضا ... أصابني حزنا فاق حزنه هو... وبت لا أغادر غرفتي أبكي ليلي وأنام نهاري ... كتبت له ذات ليلة «أشتاقك يا هيثمي رد لي قلبي إني لا أجيد العيش بغيابك»... صعقني رده البارد «نامي يا سوار» بكيت ليتلها دموعي كلها... كما لم أبكي سابقا عانقت الوسادة وبثت لسريري بعذابي الذي كنت سببا فيه.... كانت الأيام تمضي في غيابه كسجين ينتظر حكم الإعدام... أصبحت كئيبة ذابلة لا لون لي اعتزلت الكحل واعتزلت الزينة والعطور وطلاء الأظافر والموسيقى وحتى الحياة ....

بعد محاولات وافية الكثيرة بأن أغادر سريري وأذهب إلى الجامعة... خرجت معها أرتدي لون العزاء الذي أفر إليه كلما طال حزني.... وفي طريقنا لكلية الحقوق التقيت بعلي ذلك الشاب الوسيم... كان علي أوسم الشبان الّذين قابلتهم في حياتي طويل عريض الكتفين... يملك سمرة خفيفة حارقة وعينان عسلية وأنفه الحاد، نظراته الحادة مشيته

الشبيهة بأبطال الأفلام الأمريكية ولباسه المميز... استوقفنا بإبتسامة المنتصر كعادته لا يكف عن الشغب لكنه كان ضعيف الشخصية متردد يشكك بكل شيء كان يضحكني كثيرا بأغنية غريبة جدا لا أتذكرها كاملة... البارح كنت ندور أنا في حي الزهور لقيت عمي قدور ...

_وأخيرا يا سوار... بحثت عنك كثيرا.

كنت كطفل صغير يخاف أن يلعب في التراب فيراه والده القاسي ويعاقبه بشدة ... ورغم أن هيثم غادرني إلاّ أنني لم أشأ أن أحدّث غيره ... لم أكن أستلذ طعم الحياة في غيابه

_ سوار هل أنتي بخير؟ (بتعجب)

_ شكرا علي أنا بخير

_ حالتك لا تنبئ بذلك... ثم لماذا كل هذا السواد؟

انتبهت لملابسي معطف أسود تنورة سوداء خمار أسود وحذاء عالي أسود وحقيبة يد سوداء ...

ثم أردف يقول: على كل.. الأسود يليق بك.

_ شكرا

نظر لي بحب

_ إلى متى تقسين على قلبي سوار ... هل تقبلين الزواج بي ... لا أريد أن تكلميني فقط قولي نعم لأكلم أهلي.

_ لا علي لا أنا لا أحبك ...

كان وقع كلماتي كخلايا سرطانية عبثت بجسده... تغيرت ملامح وجهه

الحادة ولكني لم أكن قادرة على تحمل ذلك غادرته بسرعة فيما ظلت وافية تواسيه

ابتعدت قليلا رن هاتفي إنه رقم جديد ظننتها إحدى صديقاتي.

_ ألو

_ مبروك

_ هيثم (بتعجب)

_ مبروك الحبيب الجديد

كلماته كانت خنجرا يطعنني لا يكتفي أبدا يقتلني فأموت ثم يقتلني فأموت ثم يقتلني دون أن يرأف لحالي أبدا .

_ أي حبيب هيثم ؟

_ الوسيم ... الذي يرتدي سروال أسود وجاكيت أسود وحذاء أبيض رياضي وقميص أبيض ونظارة شمسية ... وسيم صح (باستهزاء).

_ هيثم اسمعني

_ أنت خائنة

_ لكنك غادرتني يا هيثم أو لست أنت الخائن

_ غيابي يعني أن تقفي مع غيري سوار ... هل معنى الحب أن تخونيني في غيابي ألم أسميك وطني هل يخون الوطن يا سوار ...

_ هيثم أقسم أني لم أخنك

_ لا تقسمي .... أنتي كاذبة فلتذهبي له أنا لا أليق بك... أنا محطم مغترب لا أملك وسامته ولا ماله ولا سيارته ...

_ هيثم لا تتهمني أنت غادرتني لكني لم أخنك أبدا.

_ صديقي يا سوار مات... صديقي الذي أعرفه منذ 16 سنة صديق الطفولة مات... فررت بحزني كي لا أصيبك به لكن منحتني أضعاف وجعي... خائنة أنت يا سوار .

لم أعد أسمع شيء ولا أشعر بشيء فقط لاحت لي أطياف أشخاص تصب الماء على رأسي المخدر.

نافذة غرفتي مفتوحة تستقبل الرياح المجنونة وباب موصد الأقفال... رائحة الحزن وبقايا الحب تنشد آهات مخيفة لم يبقَ سوى أطياف... كوب القهوة البارد ورواية بالية اصفرت صفحاتها ... قصائد متناثرة.. قلم حمرة تحت الكرسي وساعة يدوية معطلة على أرضية الغرفة ... جريدة لأخبار الوطن التي لا جديد فيها سوى تزايد عدد الموتى ... وقيتارة ممزقة الأوتار ... تشبهني... تركتني في ظلمتي وحدي أناشدك فلا تسمعني أبكي فلا تمسح دموعي... تتهمني بالخائنة أتصل فلا ترد ثم تدرجني ضمن قائمة الحظر ... حظر أنا عليك يا هيثم تمنعني منك وأنا الأولى بك... تتصل وافية تسألني أن أستعد للخروج ... تريد أن تكلمني لم أرفض طلبها كنت بحاجة لبعض الهواء... ارتديت تنورة وخمار بنفسجي ومعطف أسود وضعت القليل من الروج ومضينا نتشابك الأيادي كانت تحدثني عن أيمن وكنت أخفي وجعي من عدم

اكتراثها لأمري أو حتى سؤالها عني في الأيام الماضية... ليتني يا هيثم لم أرك ليتني لم أشهد لوحة خيانتك لي ليتني أصبت بالعمى قبل هذا... كنت تساعدها على قطع الطريق تمسكها من يدها ثم تداعب وجنتيها. تقهقه هي وتنصت لها أنت كمسن يبحث بين الأخبار عن اسم ابنه الغائب ... تحجرت مكاني أدقق النظر لعله شبيهك ربما طيف كالذي يزورني في غيابك لكنك كنت أنت تأكدت من ذلك حين نظرت إليّ مصعوقا كمن مسته جنية... كانت تحركك لكنها تحرك تمثال .. تمارس طقوس الخيانة بطمئنينة لأنك تعي إنني مكسورة عرجاء لن أغادر سريري ... لكنه القدر يا هيثم دائما يدلني على طريقك ... نظرت إليك بخيبة بانكسار ومضيت أسأل جسدي ألا يسقط أمامك ...

اخترت دائما أن أسميك وجعي لأنك تمنحني جرعات من الوجع وأتقبلها برضا لم أنتقدك يوما لم أفر منك إلا إليك ولم أشكوك إلا إليك لم أخنك إلا معك ولم أرحل منك إلا إليك... كان مجرد سماعي لاسمك يقيم حفلة ماجنة في قلبي يرقص على كل الطبول... في كل ليلة كنت أرقص على لحن حبك أرسمك رغم أني لا أجيد الرسم... لحيتك المبعثرة تماما كخواطري شتات أنت حاولت كثيرا أن ألمك أن أجمعك يا هيثم لكنك اخترت العبث بي ... كنت تتقن العزف على أوتاري ... كنت أتلو على نفسي آلاف العهود بأني سأنتقم منك سألومك سأوبخك إذا التقينا لكني كنت أنساها عندما تعانقني نظراتك... تحتويني بابتسامتك بحبك... سجنتني يا هيثم ولم أرجو الفرج لم أطلب حريتي إنك تقيدني تحاصرني... تقيم

حولي سورا يعيقني عن الحركة دونك عن الحياة في بعدك... إني اليوم أصرخ... اعتقني حررني .... لا تزرني في أحلامي... ارحل مني كما رحلت عني... تبكيني يا هيثم ولا أدعو عليك... تقسو على قلبي فلا أقابلك بغير حب... تثير غيرتي بل تشعل نارا داخلي .... جرعات السم تزداد فارحمني أعتقني ....

مارست ضدي عذابا لم ترحمني فيه يوما واحدا مر شهر كامل وأنت تخونني معها لربما تخونها معي بنظراتك.. تلامس وجنتيها كما لم تفعل معي يوما تتشابك أيديكما دون وجل.. تضحكان معا ولكن عيناك تخونك دوما. وحدي كنت أعرف عظمة حزنك.. كانت عيناك تطلعني عن تعاستك عن فشلك بالاحتفاظ بي... عن خيباتك التي كنت إحداها.... حاولت أن أكون قوية ألا أهتم ... فكنت أبدع في دور السعيدة... لبست أجمل ما لدي واقتنيت ملابسا جديدة تزينت كما لم أفعل وتمردت أيضا على دستورك.. طلاء الأظافر الذي منعتني منه وخماري الأحمر الذي طلقته منذ أن أبديت ملاحظتك كونه براق ارتديته ووضعت مكياجا جريئا كنت ممثلة بارعة وكنت طفل صغير لا يجيد إخفاء حزنه لضياع لعبته لكنك تماديت وصرت تمارس الخيانة مع جل أصناف الماجنات فتقبل هاتفه علنا وتحضن تلك جهرا... اتصلت بي كثيرا لكني لم أرد.. قرأت رسالتك تلك،، فلتغفري ... ببساطة يا

هيثم ماذا أغفر لك... خيانتك لي وأمامي أغفر تحطيمك لقلبي أم أغفر قيودك ماذا أغفر يا وجعي ... كتبت لك « بعينيك شيء لا يخون لا أدري كيف خان» لقائلها تشرين مرة أخرى... يهديني وجعا آخر... الشهر الذي ولدت فيه يقسم أن يستقبلني كل مرة بخيبة أخرى... أصبت بالسرطان عندما كان من المفروض أن أحتفل بعامي ال 17... وفقدت شعري في تشرين آخر... حين نظرت إلى خصلاتي الكستنائية على سريري... وصرخت كجريح حرب... هجرتني في تشرين ... خنتني فيه أيضا... وتوالت الخيبات في تشرين ...

تشبه يا هيثم أصابع البطاطا الذي حذرني منها طبيبي ... لكني عنيدة لا أكف عن التهامها ... أنت وجعي لكني أحب وجعي ولا أرجو خلاصا منه ... تراك تفهم حبي تعلم كميات جنوني .. لا أظن لأنك لو وزنت حبي لمالت كفة حبي وظل العالم كله ثابتا في الكفة الأخرى ... تجردت من كبريائي ووضعت غروري جانبا ورحت أتصفح حسابك فعرفت أنك عائدا إلى وطنك وتركتني أنا لاجئة دون وطن... ارحل عني لكن حقائبك مركونة داخل قلبي لا تجد طائرة تقلها ... وكأنك عرفت تطفلي عليك وكأنني حين زرت حسابك قد خلفت عطري ... ظهر رقمك لكني لم أرد لأني أضعف من أن أسمعك ... حضنت هاتفي ونمت ...

استيقظت على صوت هاتفي المزعج في غياب نغمة حبك... إنه رقمك مرة أخرى... ترددت كثيرا قبل أن أوافق على طلبك رؤيتي... فرغم كل شيء أنت سترحل عن وطني ولن أراك مجددا .. لن أتعثر بك كواقع

... اخـترت أن أكـون جميلـة في لقائنـا أن أكـون قويـة.. بـدوت في منتهـى الثقـة... لكنـك كنـت ضعيـف الطـرف المهـزوم عينـاك حزينـة.

وصلـت إلى المـكان الـذي اتفقنـا عليـه المـكان الـذي لطالمـا أغدقنـي فيـه بحبـه المـكان الـذي لطالمـا وجـدت فيـه الراحـة اللاّزمـة لمضاجعـة عينيـه اللّتـين ارتكبتـا في حقـي مجـزرة لازلـت أدفـع ثمنهـا ليومـي هـذا، لم أحتـج لوقـت طويـل حتـى أجـده فقـد كان كل شيء يقـودني إليـه كـما في أيامنـا الخـوالي تمامـا آه لـو تعـود تلـك الأيـام أو آه لـو لم تـأت تلـك الأيـام أبـدا، رأيتـه جالسـا عـلى مقعـد لشـخصين يمـارس الحـب مـع سـيجارته التـي كنـت أحسـدها دائمـا كونهـا الأقـرب إليـه وإلى شـفتيه كان الشـبه الوحيـد بينـي وبينهـا أننـا كلانـا نحـترق لأجلـه وهـو.. وهـو لا يبـالي.

تقدمـت إليـه حتـى لم تبـق بيننـا إلا مسـافة قصـيرة لم تمنعنـي من شـم عطره ولا رائحـة سـيجارته... وقـف مـن مقعـده سـلمت عليـه دون مصافحتـه رد عـليّ كيـف حالـك؟

بخـير تمامـا.. هـل أنـت متأكـدة؟ لا أدري ولكـن إن كنـت تعـرف بحـالي فلـما تسـأل... سـوار أعلـم أنـك غاضبـة منـي..

_ أرى حزنا وخيبة وكآبة

_ هل لك أن تقرأ سبب كل هذا؟

_ سوار أنا أعتذر لم يكن الأمر بيدي

_ كان بيدها يا هيثم ... آسفة حقا مبروك

_ سوار ألا تغفرين خطيئة من أحبك !؟

_ لم تغفر براءتي فكيف أغفر ذنبك ؟

_ كانت مجرد نزوة صدقيني

_ نزوتك يا سيدي أحرقتني

_ صديقيني يا سوار خفت عليك مني من ظروفي .. من غربتي

_ ألم تخف على قلبي الذي أحبك ؟

_ الحب الحب الحب ... سوار ألا تعلمين أني من بلد يعاني من الحروب

_ قل لي بربك ما دمت لا تحبني لماذا أغرقتني في بحرك لمَ تلاعبت بي ؟

_ بل عشقتك ... لكني كنت أغرق وكنت الوحيدة التي منحتني الحياة

_ لكني غارقة يا هيثم غارقة حتى آخر نقطة مني ... ولا سبيل للنجاة منك .

_ الغرق مقدر لأحدنا فقط والنجاة للآخر ...

_ احتفظ بآرائك لنفسك ... أنا ذاهبة

هممت راحلة لكنه أمسكني من ذراعي واحتواني بنظراته القاتلة

_ سوار اسمعيني

واللّه واللّه لم يُخلق لها مثلٌ

فوق الثرى أبدا في سائر الزمنِ

ودّعتُها ودموعُ الوجدِ هاطلةٌ

أشكو النّوى وأنا في غايةِ الحَزَنِ

اللهُ يعلمُ ما فارقتُها أبدًا

روحي التي في وداعي فارقت بدني

قفوا حدادًا ولفّوا من جدائلِها

حولي قليلًا لأنّي اخترتُها كَفَني

شعرت أنني سأضعف إن بقيت لحظة أخرى

ودعته وهممت بالمغادرة لكنني لم أقوَ على السير أكثر من خمس خطوات تذكرت فيها كل ما مررنا به معا من مشاعر صادقة وحب طاهر تذكرت تلك الأبيات الشعرية التي تلاها قبل قليل التفت إليه وجدته متسمرا في مكانه مطأطأ رأسه رأيت فيه من الإنكسار ما لم أره فيه يوما فقد كان في كل مرة يبدو لي شامخا لم أتمالك نفسي أشفقت علينا لأجد نفس أختصر تلك الخمس خطوات مسرعة إليه وثبت على حضنه حضنته بحرارة حتى أحسست بدمعة حارة تسقط على جبيني فقررت ان أضع حدا لهذا ودعته ثانية قائلة اعتني بنفسك وباليمن ثم ركضت بعيدة عنه حتى ضمنت اني ابتعدت كفاية تمنعني من الرجوع ثم أجهشت باكية.

أنا لا أبكي خذلانك ... ولا إيذائك... لا أبكي عدد جراحي ولا وحدتي أنا لا أبكي حظي ولا عذابي ... أنا أبكيني أبكي نفسي أبكي ذاتي فوحدي أنا ألم شتاتي الذي لا يلتم وأجمع فتات قلبي الذي لا يجتمع ... أنا ابكيني أبكي عمري الذي نثرته وردا لك فذبل دون أن تشكره ... أبكي سنيني وأبكي روحي يا هيثم ... كنت أستمتع وأنا أنصت لصمتك ... يروقني أن تتفرد بلغة السكون ... لكنك أيضا حرمتني صمتك ... رحلت وخلفتني وراءك كورقة خريف .... عد إلي خذ وجعك وارحل... أريد أن أتنصل

منـك مـن حبـك ... أبحـث عـن قـارب ينقـذني منـك فـلا ألمـح سـوى أعـواد ثقـاب ... أبحـث عـن ترياق يداويني منـك فصـار الترياق سـما .... اعتقنـي منـك .. فـك لعنتـك منـي ... إني أصرخ حبـا وشـوقا أسـتيقظ مفزوعـة أفتـش عنـك في سريـري بـين دفاتـري تحـت الوسـادة ... في هاتفـي وبـين زينتـي ... تختبـىء أنـت في خصـلات شـعري تنـام في قلبـي . تصحـو في عيـوني ولا ألمحـك ردّ اليّ قلبـي إني لا أجيـد العيـش في رحيلـك.

لَئِن ظَعَنَ الأَحبابُ يا أُمَّ مالِكٍ فَما ظَعَنَ الحُبُّ الَّذي في فُؤادِيا

لقيس بن الملوح

ركبـت الحافلـة متجهـة للحديقـة التـي اتفقـت مـع نورهـان عـلى الالتقـاء فيهـا ... وأنـا أبحـث في حقيبتـي عـن محفظـة نقـودي سـقطت صـورة... حملتهـا فوجدتهـا لوافيـة .. لازلـت أحتفـظ بصورهـا رغـم خيانتهـا ... وفـائي خائنـة ... غـدرت بي ومزقـت أوراق ثقتـي ... تدعـى وافيـة يـا للكـذب أي اسـم وأي مسـمى لا علاقـة بـين ذاك وهـذا .. تخـون تفـتري ... تكـذب وتدعـي أنهـا تحبنـي... كـم وجـع سرقتـه منهـا ليـلا وخبأتـه بقلبـي كـم مـن حـزن لبسـته بـدلا عنهـا ؟... لكنهـا أثبتـت لي أن الوفـاء وهـم صنعـه الخياليـون.. كانـت روحـي فهـل تخونـك روحـك؟ كانـت قلبـي فهـل يجـرؤ قلبـك عـلى الرحيـل بعيـدا دونـك؟ ... كانـت منـي وكنـت منهـا لكنهـا اليـوم نقطـة سـواد ... أدافـع عنهـا فمنحتنـي بنفسـها دلائـل تدينهـا .... لمتهـا

لكنها ردت بوقاحة ... ولم تعتذر حتى .... خانت وفائي فبكيت كثيرا شعرت أني فقدت روحي مرتين فقدتني أنا وفقدتها هي، أمشي دونها أتسوق دونها أبحث عنها فلا أجد سوى صور تجمعنا ورسائلها المنمقة الكاذبة.... إني شخصيا لا أحبذ الأسماء التي تحمل صفات لأنها قد تشكل لنا تشوه فيكون الاسم عكس المسمى مثلها تماما.

لكني يا الله أضعف من أن أتحمل طعنتها ... لم أبعث لها برسالة عتاب فقد تلاشت مني الحروف والكلمات .... حذفتها من قاموس حياتي ورحت أسير بنصف وجه نصف ابتسامة ونصف روح ونصف قلب.... أشيح بناظري عن أماكن كنا نضحك فيها نمارس فيها تفاهاتنا ... أعانق نفسي خوفا عليا من الضياع لكني أحتاجها بقربي تلك الخائنة التي باعت حبي ... و لم ترحم حتى قرابتنا .... اشتقت لنصفي الذي معها لكنه كان عليّ أن اعتزل الشوق أن أتعلم العيش دون حب ودون حاجة...

وصلت إلى الحديقة التي اتفقت مع نورهان أن نلتقي فيها ورحت أتفحصها يمنة ويسرة أين يمكن أن تكون صديقتي؟ لقد رأيت أن كل من في الحديقة يجلسون على شكل ثنائيات فتبادر لذهني أن نورهان تخلفت عن الموعد لأنها لا تملك شخصا ما قد تجلس معه لا حبيب ولا فرد من عائلتها المشتتة ولا صديقة فقد كنت صديقتها الوحيدة وبينما أنا أعاتب نورهان على تأخرها بداخلي إذ بفتاة تنادي من على مقعد خشبي قريب نعم إنها نورهان لكن يا للمفاجأة هي تجلس

بجانب شاب ما تمعنت قليلا في الشاب.. عماد.. هرولت إليهما مسرعة سلمت على صديقتي بلا وعي ثم ،عماد وش جابك من جيجل.. نظرا إلى بعضهما وانفجرا ضاحكين ثم قال: اسألي صديقتك...

قالت نورهان والابتسامة لا تفارق محياها ابتسامة لم أرها عليها منذ زمن طويل بسبب مشاكل عائلتها وغدر حبيبها السابق : لا تتفاجئي يا سوار فالحب قد ينقلك من حالة إلى أخرى ومن مكان لآخر ..ماذا؟؟ أنتما. .يا لها من مفاجأة ... ربت على كتف صديقتي موحية إليها بأن تترك لي مكانا بجنبهما ثم قلت مازحة: أم أن المقعد لا يحمل إلا اثنين؟.. ضحكا وضحكت وكنت سعيدة جدا لرؤية صديقي عماد ولرؤية ابتسامة نورهان المفقودة أو لنقل المسروقة التي أرجعها لها بطلها الذي يكون صديقي أنا..

كم أنا مسرورة لحالك يا صديقتي

وكم أنا مسرورة لرؤيتك يا صديقي

نظرت إليهما وزعت على كليهما نظرات عتاب خفيف ثم قلت هاه ماذا أيها العاشقين ألن تخبراني بقصة حبكما هاته؟ أم ستظلان تخفيانها على صديقتكما التي تدعون أنها المفظلة مثلما أخفيتماها لكل هذا الوقت.

ضحك عماد حتى بانت نواجده ثم قال :أخبريها يا عزيزتي أخبري سوار فألنا الحسن تكلمت نورهان أخيرا قائلة (بفخر): أوكي سأخبرها بما أنك أذنت لي أتذكرين يا سوار لما طلبتِ من عماد أن يقنعني

بالعدول عن فعلتي لم أنم تلك الليلة وأنا أفكر فيه وفي لطفه وذكائه، كل الذين حاولوا إقناعي بأن الحياة جميلة أو ستكون أجمل فشلوا فشلا ذريعا ما عدا عماد بكلمات قليلة استطاع أن يعيد النور إلى عقلي ويذيب الجليد من على قلبي بقيت أفكر به حتى اقترب الفجر وشعرت برغبة ملحة في سماع صوته ثانية فكرت بأن أتصل به لكن الوقت غير مناسب أكيد سينزعج مني لكن قلبي كان سيد الموقف لأجد نفسي أدق على هاتفه تفاجئت أنه رد عليّ مباشرة أخبرته بأني أرغب في الحديث فقبل ذلك برحابة صدر.

صرت بعدها أحدثه في كل وقت أريد وكلما كلمته أحسست أنه كان ينتظر مكالمتي بعدها تغير كل شيء صرت أضحك كثيرا لا أهتم لاستفزازات أبي كما أنني صرت أحاول إدخال البهجة على قلب أمي بدل أن أنجر وراء حزنها والأهم من ذلك كله أني نسيته نسيت من غدر بي وأوهمني بحبه وأجهضته يا سوار، كل من حولي أحسوا بتغيري إلى الأحسن فكرت في السبب فلم أجد سوى من دخل قلبي بلا استئذان أظنني أحبه لا بل متيقنة من حبه في بادئ الأمر أردت أن أستشيرك لتخبري عماد بمشاعري لأنك صديقته لكنني رأيت بأنه من الأفضل أن أخبره بالأمر شخصيا اتصلت به وكالعادة كأنه ينتظر اتصالي ترددت أولا ثم سألته هل هناك فتاة ما بحياتك؟؟ رد عليّ أنها لا توجد حاليا لكنها قد تكون.. فهمت تلميحه فأخبرته مباشرة بمشاعري اتجاهه سكت قليلا ثم قال هل تسمحين لي بالتفكير لبرهة فقلت بخيبة أوكي خذ

راحتك فقال سريعا أوك انتهت البرهة وهل يوجد من يرفضك. فجأة رن هاتف نورهان وقطع عليّ تركيزي على قصة صديقاي التي أجبرتني على تذكر ماضيّ الجميل الذي صنع حاضرا معاكسا بسبب الخيانات المتكررة.. كان الاتصال من مقر عمل نورهان إنهم يطلبون منها الالتحاق حالا بالمؤسسة التي تعمل فيها وذلك للتوقيع على ملفات ضرورية، استأذنتنا نورهان.

واستأذنني عماد بدوره ليوصل حبيبته لباب الحديقة لتوديعها وقفا مع بعض لقليل من الوقت كانا خجولين كما عرفتهما دائما وعندما يلتقي حبيب بحبيبته فلا تملك إلا أن تحمل ريشة ولوحة لرسم أحلى لوحات الحب الطاهر أو ورقة وقلما لكتابة خاطرة حب خجول يخفي من الجرأة ما يخفي.. عاد إليّ عماد صديقي وأنا أتابع ملامحه من بعيد وهو يقترب، الابتسامة تعلو محياه ولحية مرتبة تزين وجهه مع شعر أسود زينته شعرات بيضاء، يقول دائما أن سبب خروجها كان التوتر .. وصل إليّ استقبلته بابتسامة قائلة: (هاه يا ستوت وش رايك في سوق أهراس) فرد عليّ: رأيت فيها من الجمال ما رأيت على محياك و استقبلني كبرياؤها وشموخها الذي عرفته فيك لكن...لكن ماذا ؟؟... لكنني رأيت في شوارعها حزنا للأسف استطعت أن أراه خلف ابتسامتك فيا سوار أنت تعلمين أني أفهم فيك ما لا تنطقين به و اقرؤ أفكارك التي لم تبوحي بها تعرفين أني لست صديقك من العدم لذلك صارحيني مالذي يؤرق عيون العسل هاته؟ ماذلك الحزن الذي يجعل من تورد

وجنتيك اصفرارا لم أعهده فيك.؟.. صدقت يا عماد أنا حزينة حزينة جدا.. لمَ؟؟.. ندمت يا عماد ندمت.. على ماذا ؟؟ لحياتي ..لا لا أحد يندم على حياته هل مازلت تفكرين فيه من؟؟ ذلك اليمني.. لا لا أفكر به.. هل نسيته.. نعم لكن مازلت أرتطم بذكراه أتذكر لحيته وعيونه السوداء المليئة بالحب والحزن أتذكر كلامه وغضبه... هل مازلت تحبينه ؟.لا كلا ..لا بلا أنت تحبينه ..عيونك تفضحك ذاكرتك كذلك . ..لا يعقل أن تتذكري كل هذا عن شخص إلا إن كنت تحبينه.. مر بجانبنا في هذه اللحظات شاب مع زوجته نظرت إليه ثم طأطات رأسي ..قال عماد مابك ؟؟ .. قلت عطره في الأرجاء... وعطره أيضا لم تنسيه أممم أنت نسيته حقا ... أعترف أني لازلت أحبه لكنه خائن وأنت تعلم ذلك عماد ما هو شعورك تجاه هيثم؟.. آه حسنا في الحقيقة إحساسي نحوه مشتت .. أظن أني أشعر حياله بالشفقة والكره و الغيرة...هلا وضحت لي وشرحت مشاعرك كلها على حدا؟ ... حسنا أشفق عليه لأنه لم يحصل على من أحبها أشفق عليه لأنه غريب الحب والوطن .. ولمَ تكرهه؟ .. أكرهه لأنه خائن خان أنثى نادرة مثلك كما أنه متصنع ينهاك عن منكر ويأتي بمثله ببساطة أكرهه لأنه تلاعب بك وأغار منه لأنه وجد على الأرض من تحبه ...آه أهذا سبب غيرتك حقا؟؟... حسنا أعترف أغار منه لأنه أحب صديقتي صديقتي العزيزة.

كلمات عماد الأخيرة منعت دموعي من النزول بل أمرتها بالعودة إلى مضجعها واستبدلتها برسم ابتسامة خفيفة على ثغري رفعت رأسي

فرأيت نظرة الأخ الحنون من عماد أو ربما هي أكثر من نظرة أخ حنون.. اقترح عليّ أن أتمشى قليلا في الحديقة بين الأشجار فهو يعلم كم أنا محبة للطبيعة فهي تنقذني من ضجيج المدينة و تطلق سراحي من سجن مشاعري التي ملأت رأسي حتى كاد ينفجر.

أخبرت عماد بأني أشعر بألم في رأسي فذهب وعاد إليّ سريعا ومعه الدواء وكوبين من الكابوتشينو ولما اطمئن على حالتي رحنا نتجول في الحديقة نتكلم تارة نضحك تارة ونصمت تارة وكان يداعب كل ولد صغير أو صبية يصادفها أمامه فقد كان محبا للأطفال وأخبرني بأنه إن رزق بفتاة يوما فإنه سيسميها زمزم .. أراه كذلك وأقول في نفسي يا لحظك يا نورهان .. تكلم عماد أخيرا قائلا : سوار أنا لم أكتفِ بهذا .. بم يا عماد؟.. أعلم أن حزنك طبقات يا سوار فقد كشفنا طبقة اليمني لكن لازلت أرى حزنا واصفرارا وأود أن أعرف سببه لذلك أنا لم أكتف بتشخيص سطحي لحزنك أريد أن أفهمه كله... إنه حزن وحسرة على الماضي يا عماد إنها ذكرى لم ولن أنساها لا انفك على تذكرها ولا تنفك عن إيقاض حزني .. إنها مأساة شعري .. ما به شعرك(بتعجب)!!!!؟؟ صحيح لم أر شعرك يوما لكنك كنت تتباهين به في وصف نفسك وتذكره صديقاتك إن ذكرن حسنك .. أعلم أنني لم أخبرك بقصته يوما لكن هل تعلم أن هذا الشعر الذي اتباهى به اليوم تساقط كله يوما ما كما تتساقط أوراق الخريف .. لا أصدق .. كيف ذلك؟؟ .. لقد أصبت بالسرطان قبل سنوات.. يارب سلم إذن فهذا سبب حزنك.. نعم لقد

أصابني سرطان الرحم وأنا أرسم أول خطوات أنوثتي فحرمني من شعري وأذهب جمالي بل وحياتي كلها.. وهل شفيت منه؟ نعم ولله الحمد لكنك تعلم أن ذكرى كهاته لا تزول بسهولة خاصة وأنه لم يكن مرضا عاديا...

أكيد زرت طبيبا مختص وأكيد لازلتِ تقومين بفحوصات دورية لضمان تعافيك ؟ كلا ..المرض لم يكن يحتاج إلى طبيب بل أكثر من ذلك فقد كان سببه السحر...

يا رب أستر سحر؟؟

فعلا البشر لا يؤتمنون في أيامنا هاته ... حرام أن تصل أيادي السحرة لوجه بريء كوجهك .. المهم سوار الأمر أصبح من الماضي وليس عليك أن تمنحيه الفرصة للفتك بك .. لا مسك ضر يا عزيزتي....

لكن يا عماد إنها ذكري لا تريد أن تغادر رأسي أبدا فكل يوم أحس بصداع في رأسي لا تزيله الأدوية لدرجة أنني لم أنم لدقيقة بسببه كما أنني أصبت بغثيان وأخرجت كل ما في بطني أنا قلقة للغاية ....

لا تقلقي عزيزتي لا شيء يستحق ربما هو مجرد ضغط بسبب جروح الماضي...

أظن ذلك فذكرى مرضي و ذكرى خيانة هيثم ووافية لا تقل قساوة عن المرض...

ماذا قلت خيانة وافية؟؟.

نعم لقد خانتني توأمتي أو من كنت أظنها كذلك.. ما السبب وكيف

خانت؟... للبيوت أسرارها يا عماد لا أريد أن أكشف سر خيانتها أريد أن أحتفظ به لنفسي .حسنا لكن يا للغرابة أتذكر أنها تكلمت معي مرة عبر فيسبوك وكان كل كلامها مدحا لك فكيف تغيرت كيف خانت؟؟ أقسم أني حسدتكما يومها على صداقتكما لكن لا عليك انظري إلى الجانب المشرق في الأمر يا سوار....

بربك أي جانب مشرق تتكلم عنه؟...

حسنا بالنسبة لمرضك فقد زال والحمد لله وهذا جانب مشرق وأما بالنسبة لوافية فقد عوضها الله لك بنورهان وأما هيثم فقد عوضك الله بخير منه وأكثر وسامة ولطفا أو ليس هذا مشرقا ...

بمن عوضني عن هيثم ..؟

بعماد طبعا .. لم أستطع منع نفسي من الضحك بسبب غرور عماد ثم قلت لا حرمني منك ومن تواضعك يا متواضع أنت..

الآن أخبرني عما قلته لنورهان حتى عدلت عن قرارها ينتابني فضول لمعرفة ذلك ...

آه حسنا إنها مجرد كلمات بسيطة اتصلت بها بعدما طلبت مني أنت ذلك ولما ردت عليّ أخبرتها أنني صديقك وأنني أريدها أن تساعدني في أمر مهم وأنك من أخبرتني بقدرتك على فعل هذا . .

قالت: حسنا ما دمت صديق سوار فسأساعدك فمن الجيد أن يكون آخر ما يفعله المرء في حياته مساعدة شخص ما..

قلت: إن هذا الأمر عبارة عن أسئلة.. تفضل.. قولي لي أختاه ما رأيك في

شخص حفر في الأرض حفرة كبيرة ليخرج كنزا ولما تبقى متر واحد يئس وردم الحفرة وأضاع الكنز..؟

إن هذا لسؤال تافه ألهذا اتصلت بي.؟

أجيبي فحسب... أكيد هو أبله وسيندم بشدة على ما ضيع من مال...

سؤال ثاني من فضلك ما رأيك في شخص زرع نبتة نادرة أمام منزله ولما لاحظ بطء نموها اقتلعها وبعدها بشهر مرضت زوجته وأخبره الطبيب بأن الحل الوحيد هو تلك النبتة لكنه لم يجدها في أي مكان حتى توفيت زوجته ؟...

غبي متسرع كان عليه أن يصبر قليلا... إذن أختاه ما ظنك بشخص اقترب منه الفرج وأوشك اليسر أن يأتي له بعد عسر طويل لكنه قرر أن يضع حدا لحياته فانتحر هل سيكون كمن فقد ماله أو زوجته أم أعظم مصيبة...؟

لا ليس كمثلهما في شيء فمصابه أعظم وخسارته أكبر... ماذا خسر ؟؟...

لم أسمع بعدها سوى نحيب نورهان كانت تبكي بحرقة ثم قالت خسر الجنة .. قاطعتها وقلت ماذا لو صبر؟؟.... قالت والله سأصبر حتى لو أطال الفرح غيابه... ثم أقفلت الخط.

اللّيل مرة أخرى يعود حاملا حزمة من الذكريات كم رجوته أم يخلفها حين يأتي ... كم بت أشرح له عذابي وأنا أسترجع كل لحظة مرت من عمري كنت فيها يا هيثم ... واليوم أبكيها ... لا أعرف إن كنت أبكي ضياعها مني أم أبكي دخولها لحياتي .... لكن هذه الليلة لم تحمل حنينا

فقط بل حملت وجعا شديدا في أسفل بطني ... ظننت في البداية أنه بسبب أكلي غير المنتظم وسيزول مع بعض الوقت... لكنه ازداد حتى صرت أصرخ من الألم ... نهضت من سريري ألتوي وجعا ذهبت للمطبخ وحضرت مشروب الزعتر وعدت إلى سريري أحاول التغلب على ألم بطني وألم قلبي... لكن الأمر لم يكن كما توقعت فقد شعرت للحظة أني سأفارق الحياة وكأن سمك يا هيثم قد انتقل من قلبي إلى بطني... نسيت لحظتها كل ذكرياتي نسيت حقدي ووجعي نسيت خيباتي ... كان الوجع أثقل من كل الأحاسيس ... دخلت أمي بسرعة دون أن تطرق الباب فقد أيقضها صوتي ... استطعت سابقا أن أخفي جميع آلامي عن أمي لكن هذا شيء مختلف أشعر بأن أحشائي تتمزق ببطئ، شيء ما في الداخل يستمتع بأذيتي كما فعل هيثم ، لم أشعر بشيء إلا وأنا في المستشفى يبدو أنني فقدت وعيي عند قدوم أمي ، وجدت نفسي على طاولة الفحص والطبيبة تقلبني يمنة ويسرة حتى أذنت لي بالجلوس طبيعيا، ثم جلست أمامي وملامحها لا تبشر بخير ثم سألتني بعض الأسئلة وقالت مهما يكن فكوني قوية ، فهمت أن في الأمر ما يقلق فترجيتها أن تخبرني بمرضي فردت مباشرة: سيكون عليك الخضوع لعملية استئصال الرحم لأن رحمك مرضت من جديد وقد وصفت لك دواء يخفف ألمك حتى وقت العملية...

كانت صدمتي هذه تفوق كل الصدمات الأخرى التي تعرضت إليها في حياتي لم أصدق في البداية كنت أشك أنني أؤدي دور البطولة البطلة

المنكسرة في فيلم حزين .. أو ربما ظننت أنه كابوس بشع وسأستيقظ منه قريبا.

ما حلمت به دائما لن يتحقق أولادي لن يأتوا إلى الحياة بل لن أجرؤ حتى على قول كلمة أولادي لن تكون توبة ولن يكون وليد...

خرجت من المشفى أجر خيبة تثقل كاهلي مصيبتي كانت أعظم من أن تقبل العزاء .

معي أمي التي لم أجد فائدة من إخفاء الأمر عنها أخبرتها فراحت تواسيني والدموع تحجب عنها الرؤية وأنا أعلم أنها أيضا تحتاج لمن يواسيها فقد كانت تخبرني دائما بأنها من ستربي أولادي كي لا يكونوا كسالى كأمهم...

قبل أن أركب سيارة الأجرة لمحت صديقي عماد أتى إليّ مسرعا فحالتي تلك تخبر الكل أني لست بخير وهذا مافهمه عماد سألني عن أمري فكان عليّ أن أتقاسم معه همي كما كنت أفعل دائما ، أسود وجهه واستطعت أن ألمح دمعة تستقر في مقلته أشفقت على حالتي لكنها أبت أن تصارحني.

حاولت أن أغير الموضوع قليلا فسألته عن وجهته فقد رأيت على ظهره حقيبة سفر أخبرني أنه سيعود إلى منزله في جيجل ليمكث أسبوعا ثم يعود ...

ياليتهم يستطيعون استئصالك من قلبي كما يستأصلون رحمي .. بغيابك يا هيثم ها أنا افقد أغلى أحلامي ها أنا أفقد الأغلى فالأغلى فقدتك

ثـم رحمـي ومـاذا بعـد.. أي قـدر هـذا الـذي يرمينـي قـي غياهـب الخيانـة في كل مـرة ... ؟

خانتنـي صديقتـي وخاننـي مـن حسـبته وطنـي فتركنـي لاجئـة أرجـو مـلاذا فـلا أجـده واليـوم تخوننـي رحمـي ... تريـد الرحيـل منـي ... أي وجـع بعـد هـذا ... أنـا خلقـت أم ... أحببـت أن أكـون أم لعـشرة أطفـال ... لكنـي اليـوم أشـهد موتهـم قبـل ولادتهـم .... أي قـدر ينتظـرني ...؟ تمنيـت لحظتهـا لـو أنك بجانبـي لأبثـك وجعـي لأسرد لـك تفاصيـل حـزني ... لكنـك يـا هيثـم كذبـة خيبـة جعلـت قلبـي حطامـا ... قتلـت حبـي للحيـاة تـراك تـدري أننـي أشـبه بيـاض الثلـج أنـا أيضـا تجرعـت السـم الـذي منحتنـي إيـاه لكـن الفـرق بيننـا أننـي أعلـم أن بالتفاحـة سـم ...ولم أعـارض تجرعـه لآخـر قطـرة ...

كانـت الأيـام تمـر كأعـوام عجاف..أنـا محبطـة حزينـة خائفـة .. أنـا محطمـة ..كنـت أقـوي نفـسي بقـراءة القـرآن و قيـام الليـل .. ذات ليلـة فتحـت المصحـف عـلى سـورة مريـم: بعـد بسـم اللـه الرحـمان الرحيـم «ربي اجعـلي مـن لدنـك وليـا» «أنـا يكـون لي ولـد وكانـت امـرأتي عاقـرا وقـد بلغـت مـن الكـبر عتيـا» «قـال كذلـك قـال ربـك هـو عـلي هـين» ..لا أعلـم لمـا رفعتنـي هـذه الآيـات أنسـتني في مـرضي ومصيبتـي أظننـي حسـبتها رسـالة لي أحببت سـماعها فنمـت وأنـا أرددهـا ...

اسـتيقظت مـع بـزوغ الفجـر وصليـت ودعـوت ربي وبكيـت كثـيرا ، مـرت أربعـة أيـام لم يبـق الكثـير لأفقـد الكثـير ، بقيـت مسـتيقظة حتـى السـاعة

التاسعة أين غفوت قليلا لكن الهاتف أيقضني ، أيقضتني رنة هيثم التي لم تعد حتى هي كسابق عهدها أظنها خانتني كذلك ..كان عماد من يتصل ظننته يريد الاطمئنان علي لكني تفاجأت بأنه يطلب مني أن نلتقي في الحديقة كان متحمسا لا أعلم لما ثم لماذا قطع إجازته قبل ثلاثة أيام من نهايتها...؟

وصلت الحديقة وجدت عماد هناك سلم عليّ وطلب مني الجلوس فيما بقي واقفا ثم قال :

قولي سوار هل تعانين من نزوفات بسبب ذلك الورم في رحمك ..؟لا أبدا أعاني من الألم فقط ليس هنالك أي نزيف..

إذن هل أخبرتك الطبيبة بأن لديك نوع من أنواع السرطان ...؟

لم تأت التحاليل بشيء مماثل فقط ورم بداخل الرحم هذا ما أخبرتني به ...

إذن يا عزيزتي مازال لديك أمل.. بعد ذهابي إلى جيجل صادفت طبيبة أعرفها شخصيا رحنا نتجاذب أطراف الحديث حتى أخبرتها عن معاناتك فسألتني إن كان لديك ما ذكرت سابقا نزيف وسرطان... فقلت لها أني لا أظن ذلك فردت بأنه إذا كان الأمر كذلك فيمكن تجنب استئصاله.. لذلك عليك أن تزوريها في جيجل في أقرب وقت.. لكن الطبيبة هنا أخبرتني بالعكس..!

سوار هذه طبيبة يشهد لها الكل بالكفاءة وقد أخبرتني أن الأورام الحميدة في الرحم صارت شائعة اليوم و بإمكاننا أن نجعلها تتقلص حتى

تختفـي نهائيـا ثـم أننـا علينـا أن نجـرب كل السـبل...
أوكي سـأذهب إلى المنـزل لأحـضر نفـسي ونذهـب وسـأطلب مـن أخـي أن يرافقنـا...
قضينـا سـت سـاعات تقريبـا في طريقنـا مـن سـوق أهـراس إلى جيجـل وصلنـا متأخريـن فاصطحبنـا عـماد إلى منـزل عائلتـه رحبـوا بنـا كثـيرا وخاصـة أمـه التـي راحـت تطمئننـي بـأن كل شيء سـيكون عـلى مايـرام أظـن أن عـماد أخبرهـا بأننـي مريضـة لكنـه طبعـا لم يقـل لهـا أني سـأضطر لاسـتئصال رحمـي..
خرجنـا صباحـا متجهـين إلى الطبيبـة شرعـت في الكشـف عنـي حـال وصـولي و أطلعـت عـلى نتائـج التحليـلات التـي قمـت بهـا سـابقا كانـت ملامحهـا توحـي بالطمأنينـة نظـرت إليّ ثـم قالـت: حسـنا لديـك ورم ليفـي لذلـك لا يجـب أن نتـسرع باسـتئصال الرحـم هنالـك ثـلاث أمـور يجـب علينـا فعلهـا وهـي أن نسـتمر في مراقبـة هـذا الـورم وهـذا يعنـي أنـه عليـك أن تداومـي عـلى زيـارتي يوميـا، وأيضـا ستمارسـين تمارين رياضيـة تحـت إشراف مختصـة وذلـك لتقويـة عضـلاث الحـوض، وكذلـك ماسـاج عنـد مختصـة.
وأيضـا سـأمنحك أدويـة تشربينهـا وإن كان لديـك دواء آخـر فارميـه بعيـدا وبـإذن اللـه سـيتقلص الـورم ...
أحسسـت أن أمـلا جديـدا منـح لي وعزمـت عـلى تطبيـق مـا طلبتـه منـي الطبيبـة بـكل التفاصيـل، فكنـت أقـضي يومـي كلـه بـين منـزل عـماد مـع عائلتـه والمشـفى أو مختصـة الرياضـة الطبيـة والتدليـك ..

مرت خمسة أيام وككل يوم بدأت يومي بزيارة الطبيبة التي أخبرتني أنه لا تدليك ولا رياضة اليوم لكني سأمكث معها لمدة أطول من سابقاتها فحصتني بطريقة دقيقة وكأنها تبحث عن أمراض أخرى لا أدري إن وجدتها أم لا ، جلسنا أخيرا ظلت تسألني عن أمور جانبية كدراستي وعائلتي ثم قالت : للأسف سوار الورم يتقلص لكن ليس بالشكل الذي نتمناه ..

قلت: وماذا أفعل هل ترسمت العملية ..؟ سنكمل ما فعلناه سابقا لمدة قصيرة فإن لم يضمحل فيؤسفني أن الاستئصال سيكون الحل ..

وأردفت برقة : آسفة أردت مساعدتك كإنسانة كامرأة فلم أنجح لكن لا تفقدي الأمل فمازالت أيام قليلة...

كان كلام الطبيبة كأن يصوب أحدهم مسدسا باتجاهك ثم يقول لك : لا تخف مازالت الرصاصة في الداخل ..

خرجت من المشفى لماذا أحس بدوار؟ لماذا أحس بأن أجزائي مبعثرة ألم أعهد الخيبات ألم تستئصل أحلامي أغلبها من المفروض أنني تعودت ..

اتصلت بعماد الذي كان قد عاد إلى سوق أهراس رفقة أخي بعدما أوصى أمه وأخته بي ..

أخبرته بما حدث فطلب مني مباشرة أن أذهب إلى المنزل وأبقى بجانب أمه. كان يعلم أن أمه قد تمنحني القوة وهذا ما ظننته أنا..

وجدتها في المزرعة أمام المنزل سألتها عما تفعله فأخبرتني أنها تجمع بعض الأعشاب لطبخ إحدى الأكلات التقليدية ، رحت أتمشى معها وهي

تجمع تلك الأعشاب يا إلهي هل يعقل أنها صالحة للأكل فعلا؟ ، كانت تسمي لي كل باسمها التقليدي وتعطيني لآكل منها في كل مرة وبعد مدة لاحظت أنني لم آكل ولا واحدة بل جمعتها في يدي فنظرت إلي غاضبة أتظنين أن البيتزا أفضل من هذه فقبلتها ضاحكة وقلت حسنا سآكل كان ذلك كأن تجبر طفلا على شرب دوائه فعل كل شيء لتجنبه لكنه في الأخير شربه ..

أكلت منها مجبرة حتى فاجأتني إحداها بمذاقها الملح الغريب رحت أبحث عنها في المزرعة أقطف وآكل بشراهة فنادت علي ضاحكة كلي قدر ما تشائين لا تستعجلي فلن يسبقك أحد إليها... ثم إنها مفيدة جدا سأطهو منها بعد العشاء .

وقفت أمام المرآة ونظرت إلى عينايّ الحزينة ورغم كل شيء بدأت أحدث نفسي ..

أنا أدري حجم قوتي ... أعرف أني قادرة على محاربة جل أحزاني وحدي بل إني في كل صلاة أرجو ربي أن يجمع هموم أسرتي ومن أحب ويحملني إياها بدلا عنهم ... تحملت الخيبات كلها بل جمعتها ورميتها بسلة مهملاتي وأنا عادة لا أسترجع ما رميته ... خنقت جراحي وقتلت أحزاني ، إن القوة تكمن في كونك قادرا على قتل الحزن أما القوة الحقيقية فهي كونك قادرا على إجهاض هذا الحزن قبل أن يلد ... وأنا كنت ماهرة في إجهاض كل شيء ... تخلصت من أولئك الذين أذوني ولوحت لهم بيدي قائلة الوداع .... وكنت خائنة مثلهم حين خنت حزني وابتسمت أنا

أقوى أكثر مما تتصورون. ...

روتيني اليومي منذ خمسة أيام يتكرر في مشهد ممل لم يتغير شيء سوى أنني أقطف رزمة من تلك العشبة كل صباح في طريقي إلى الطبيبة وأمضي ...

لقد اعتدت على الأمر فقط سأزور الطبيبة لتقوم بفحصي ثم أتجه إلى سوق أهراس للقيام بعمليتي هناك ..

انتهت آخر حصة لي مع هذه الطبيبة سأشكرها جزيلا فهي لم تقصر في حقي ...

اطلعت على التصوير بالأشعة الخاص بي ثم نظرت إليّ باستغراب ثم حملت الراديو وخرجت مسرعة ثم عادت بعد ثواني لأراها تطالع ملفي الطبي كالمجنونة..

تبا أظن أن طبيبتي تحتاج لطبيبة.. نظرت إليّ مرة ثانية ثم عانقتني ..

يا إلهي هل سأموت بعد حين هل سأستأصل أنا بدل الرحم ..؟

حسنا هي تودعني لا بأس فقد تعودت على الموت.. أظن أن شيئا ما انفجر بداخلي عندما سمعت الطبيبة تقول لي اختفى الورم رحمك لك يا سوار أنجبي قدر ما تشائين لا رياضة بعد اليوم ولا تدليك، ولا أريد رؤية وجهك بعد اليوم ههه لكن مالذي فعلته حتى اختفى ثلاثة أيام لا أظنها تفعل ..

أتعلمين شيئا يا دكتورة في آخر ثلاثة أيام ألفت أدلك عشبة من مزرعة أم عماد وكانت أمه تطبخلي منها هذا فقط ما تغير... لم أقوَ على حمل

نفسي اتصلت بعماد الحمد لله الحمد لله استعدت رحمي يا عماد... لم أنسَ أن أسأل عماد عن اسم تلك العشبة لاحقا.. أخبرني أنها عشبة القطف .. وعرفت فيما بعد أنها تعالج تكيس المبايض.

كان عماد سعيدا للغاية لشفائي كدت أسمع دقات قلبه تتراقص فرحا، هنأني وطلب مني أن أخبر عائلتي فمن المؤكد أنهم قلقون عليّ ، اشتريت هدية لأم عماد في الطريق إلى منزلها وكانت سعيدة بدورها لشفائي ، قضيت عندهم ليلة أخيرة سهرنا لساعة متأخرة وفي الصباح ودعتها بالدموع لم أرد أن أفارقها فقد كانت فأل خير عليّ وكانت سندا لي طيلة مكوثي هنا ، تركتها متوجهة إلى سوق أهراس ودعواتها تتبعني.. كم أحببت هذه العائلة.

وأخيرا أشرقت شمس يوم لا أبدؤه بالتفكير في رحمي بمستقبلي بفلذات كبدي أولادي الذين لم يأتوا بعد، اتصلت بعماد مباشرة تمنيت ألا يكون مشغولا بنورهان اقترحت عليه أن نذهب للتنزه في الحديقة لأنني أشعر بالسعادة أشعر بأنني ولدت من جديد بعد وفاة الأيام القاسية التي عشتها مع انتظاري لعملية استئصال رحمي كان موتا حقيقيا ، لم يرفض كعادته بل قبل ذلك برحابة صدر ...

ذهبنا للحديقة جلسنا على كرسي لشخصين كنا نتكلم بسرور نضحك كثيرا ونبتسم أكثر كأنه آخر يوم لنا مع السعادة كنت أشعر برضا عماد كيف لا وهو من منحني أملا جديدا وفرصة جديدة...

ببساطة كنت أحس بقيمتي في عينيه و هذا صراحة ما يجعلني أستنجد

بـه في كل مـرة أحـس بالضعـف أو حتـى القـوة ...

فجـأة تسـمر عـماد في مكانـه وتغـيرت ملامحـه إلى ملامـح الغضـب والحـيرة وكان ينظـر إليّ ويركـز فيـما خلفـي ثـم قـال لي: لا تلتفتـي خلفـك هنالـك مـن يراقبنـا...

أحسسـت بالارتبـاك مبـاشرة فلسـت معتـادة عـلى أن أراقـب أو أُراقـب مـن هـذا يـا تـرى؟ قلـت لعـماد فـرد : لا أعـرف لم أره سـابقا ولكنـه يجلـس خلفـك بعيـدا قليـلا ولاحظـت أنـه يتفاعـل مـع كل ضحكـة منـا .. هـل تـراه بوضـوح ..؟

نعـم .. صفـه لي ... عينـان سـوداء ... لحيـة عشـوائية ويرتـدي نظـارات طبية.. إنـه هيثـم.. هيثـم مـن؟؟ حبيبـي السـابق .. سـأنهض لأعـرف مـا خطبـه .. كلا لا تفعـل ولا تـثر انتباهـه لأنـك كشـفته .. هـل مـازال يراقبنـا ..؟

نعـم .. إذن افعـل لي معروفـا.. مـاذا.. المسـني بطريقـة تثـير غيرتـه وتجعلـه يظـن أنـك حبيبـي.. مـاذا ؟

نعـم أفعـل ذلـك فقـط أنـا أرجـوك ولا تخجـل فيلاحـظ ذلـك تعلـم أنـه مجـرد تمثيـل.. وضـع عـماد يـده عـلى يـدي وهـو يتكلـم ويبتسـم بحنـان حتـى كـدت أصـدق أيضـا أنـه حبيبـي ثـم فاجـأني لمـا أخـرج خاتمـا مـن جيبه و تظاهـر بأنـه يطلـب يـدي وقـد كان الخاتـم هديـة لنورهـان سـيمنحها لهـا الليلـة حسـب قولـه سـابقا ، آه يـا عـماد أنـت ممثـل بـارع وأنـا كنـت خائفـة مـن أن تفضحنـي ، قـررت أن أكمـل المشـهد الـذي بـدأه عـماد وضعـت كفـي عـلى فمـي وكأني لسـت مصدقـة ثـم أعطيتـه يـدي فألبسـني الخاتـم وكنـت

في كل لحظة أقول له بأن يخبرني عن حالة هيثم وكان يقول بسخرية: أن أفضل الطرق لتفتيت الحجارة الصلبة هي وضعها بين أسنان هيثم في هذه اللحظة نظرا لغضبه الشديد.

بعد قليل أخبرني عماد بأن هيثم رحل فعدنا كما كنا رددت له خاتمه و احمر كلانا خجلا ثم قلت عماد ألم تنس شيئا أنزل يدك فانفجرنا ضاحكين حتى ظهر الشفق الأحمر في الأفق لينطق عماد : نورهان نسيتها ألقاك غدا سارة.

عدت إلى المنزل فرحة على غير ما ألفته في الأيام القليلة الماضية . كان ذلك يوما سعيدا بحق أو على الأقل لحد الآن، كنت أفكر في فعلتنا بهيثم فأضحك وتمثيلنا المتقن فأضحك أكثر لم يكن هنالك ما سيبكيني في ذلك الوقت أو كما كنت أظن ، فتحت حسابي على فيسبوك لم أفعل ذلك منذ مدة ورحت أطالع الرسائل التي وصلتني لا شيء مهم فجأة لاحظت وجود رسالة حديثة من مجهول «سوف تندمين أعدك» حسبتها مزحة أو أنها أرسلت عن طريق الخطأ، ورغم ذلك لا أنكر أني أحسست ببعض الريبة.

وبينما أنا في تلك الحال رن هاتفي لا أعلم لماذا أشعر بأن الرنة التي تنبهنا باتصال أحدهم لإخبارنا بشيء جيد ليست مثل الرنة التي يكون المتصل بعدها ينقل خبرا سيئا حتى لو كان الصوت واحد واللّحن واحد رأيت بأن نورهان من تتصل بي رددت عليها مباشرة لأجدها تبكي بصوت مرتفع وتقول : الحقيني يا سوار !

وصلت إلى المستشفى ورحت أتثاقل الخطى حتى أبصرت نورهان في الرواق توجهت نحوها كانت تضع رأسها على الجدار وتبكي وصلت إليها ثم نظرت من الزجاج عماد في حالة حرجة دخل في غيبوبة بسبب أن أحدهم دهسه بسيارته بكينا كثيرا تلك الليلة أنا ونورهان مرت ساعات كثيرة منذ فقد وعيه.

بقينا على تلك الحال حتى حظر الطبيب، سألته نورهان عن تفاصيل حالته وعن مواضع إصابته فأخبرنا بأن هنالك إصابات عديدة وكسور في مختلف أعضاء جسمه لكن الإصابة الأخطر التي ربما كانت السبب في غيبوبته هي إصابة خطيرة في رأسه .. سألته وما مدى خطورة تلك الإصابة ..؟

قال: أن الغيبوبة لن تدوم لأكثر من 15 يوم حسب تقديرنا و إن لم يستيقظ قبل هذه المدة فيؤسفني أنها نهايته..

فجأة سمعت صوت ارتطام شيء في الأرض، استدرت خلفي فإذا بنورهان قد أغمي عليها هي الأخرى ولم تقوَ على سماع ما قاله الطبيب، ساعدني أحد الممرضين على نقلها لغرفة أخرى تركتها هناك وطلبت منه أن يخبرني إذا أفاقت ورحت أبكي في الرواق على فاقدي الوعي... كنت أفكر في أي مصيبة أخرى قد تحل عليّ بعد هذا إن كل شيء يسير إلى الأسوء ليقطع تفكيري صوت رجولي :هل أنت الآنسة سوار ..؟

آه إنها الشرطة لا أستغرب قدومهم الآن بالضبط فقد كنت أفكر قبل قليل بشيء سيء آخر يتوقع حدوثه ..

قلت : نعم سيدي ماذا تريد؟ ..

أنا المفتش عمر وقد جئت لأستجوبك وصديقتك في قضية الحادث الذي تعرض لها عماد هل تسمحين ؟؟

لا ..اا أقصد نعم لكن صديقتي قد فقدت الوعي لتوها ولن تستطيع مساعدتكم..

ماذا عنك أنت؟.. أنا .. أنا فاقدة لوجودي كليا وليس وعيي فقط لكن لا بأس سأساعدك مادام الأمر قد يساعد عماد .. أوكي دعنا نتكلم قليلا وأعدك لن أطيل عليك.. ما هي علاقتك بعماد؟.. أنا صديقته من سنتين.. هل أنتما على وفاق؟؟.. نعم نحن على وفاق دائم .. أين كنت وقت وقوع الحادث؟ قلت كنت في المنزل .. متى التقيت به آخر مرة؟.. كانت قبل الحادث بأربعين دقيقة كنا معا في الحديقة ... وهل قال لك أين كان متجها؟.. نعم أخبرني بأنه سيذهب لملاقاة حبيبته نورهان للاحتفال معها بعيد ميلادها..

وهل حدث شيء مريب في الحديقة كأن يكون تخاصم مع شخص أو شيء مماثل؟.. كلا.. لم يحدث شيء .. تذكرت مراقبة هيثم لنا لكنني لم أر بدا من إخبار المفتش بذلك..

هل تشكين في شخص ما ؟... لا عماد لا يملك عدوا ولا حاقدا حسب علمي. .حسنا شكرا وأنا آسف على الإزعاج أعطيني بطاقتك لأتصل بك في حالة احتجتك ....

هم المفتش منصرفا ثم التفت إلي قائلا: آه نسيت أن أسألك عن وسيلة

تنقل عماد..؟ التاكسي يا سيدي استقلها أمام الحديقة كنت معه قبل أن أودعه وأذهب مشيا إلى المنزل... هل تتذكرين السائق. أكيد .. إذن سترافقينني غدا إلى محطة سيارات الأجرة إلى اللقاء غدا إذن...

دخلت عند نورهان لاطمئن عليها فقد استيقظت بعد رحيل المفتش فوجدتها تضع سماعات الهاتف في أذنيها وتنظر إلى هاتفها ، لم أعلم ما تشاهده لكني أظن أنها رأت الجحيم فقد أجهشت بالبكاء مرة أخرى حتى خفت أن تفقد وعيها ثانية، والغريب أنها كانت تنظر إليّ بنظرة لم أعهدها منها. .

اتصلت بأمي لأستأذنها بالبقاء مع نورهان لأن حالتها صعبة كما أنه لم يأت إليها أحد من عائلتها سوى أمها التي لا تستطيع الإطالة هناك بسبب زوجها متقلب المزاج غريب الأطوار أب نورهان الذي أعطاني شبه إجازة لأرتاح من تفكيري حول ما يجري، فرحت أهاجمه في خيالي وأرسمه بأبشع الصور وأمارس عليه أقسى عذاب، حتى أغلقت عيني غصبا ...

هاتفك يرن يا سوار هكذا أيقظتني نورهان قفزت إلى الهاتف تبا إنّه المفتش.. هل سأخرج في هذه الحالة؟ لو رآني أحدهم هكذا مع الشرطة فسيقول أنهم يعيدونني إلى مستشفى المجانين ..!

لكن لا يهم فلا أحد يهمني بعد اليوم.. ركبت سيارة الشرطة بجانبي شرطية قضينا الطريق كله نتكلم عن الحادث لكن كلامنا كان جعجعة بلا طحين فكلانا لا يعلم من تفاصيل الحادث شيئا .. وصلنا إلى محطة

سيارات الأجرة رحت أدقق في السائقين لم أحتج لوقت طويل حتى عرفت السائق أشرت للمفتش بأنه هو وبلا مقدمات سأله المفتش عن الزبون الذي أقله بالأمس إلى (حي غلوسي) بعد آذان المغرب.. آه أكيد اتذكره ماذا عنه؟؟ .. في أي وقت بالضبط ركب معك من أمام الحديقة.. 19:05 يا سيدي .. الحادث كان عند 19:25... أي حادث سيدي.. أي حادث ؟؟ ألا تعلم أن زبونك ذاك قد دهس من طرف أحدهم على الساعة 19:25 تقريبا ؟

قالها المفتش وهو ينظر إليه بريبة... ثم أردف عما تحدثتما في السيارة وهل كانت بينكما مشكلة حتى فعلت ذلك؟... فرد السائق ليست لدي أيّ مشكلة مع أيّ أحد ولم أفعل شيئا.. ما أتذكره أنه نزل وهو يتكلم مع فتاة وكان سعيدا ولا يبدو عليه أنه كان خائفا من أمر ما كما أنه من أدب حديثه أظنه ليس بالشخص الذي يملك مشاكل وعداوات مع أحد ...

خرجنا من المحطة لم نستفد شيئا يذكر .. توجهنا إلى المستشفى مررنا على مكان الحادث كانت طريقا واسعة رغم أنها فرعية تساءلت كيف لأحدهم أن يدهس شخصا بالخطأ مع وجود كل هذه المساحة التي تسمح له بتفاديه لكن نقص الإنارة أوقف تساؤلي.. وصلنا إلى المستشفى وجدنا نورهان في حال أفضل طلب منها المفتش الجلوس والإجابة على أسئلته بروية... ما علاقتك به؟ .وأين كنت وقت الحادثة...؟

تلك الليلة هي ليلة عيد ميلادي وقد دعاني عماد لمطعم قريب من

منـزلي اتفقنـا أن نلتقـي عنـد ال 19:30 في المطعـم اتصـل بي قبـل الموعـد بعـشر دقائـق أخـبرني أنـه قريـب مـن الوصـول وأنـه عـلي أن انـزل إلى المطعـم لنلتقـي هنـاك ..

وصلـت إلى المطعـم وجلسـت قـرب النافـذة وأنـا انتظـر عـماد اتصلـت بـه لأخـبره بـأني وصلـت لكنـه لا يـرد ظننـت أنـه قريـب لذلـك لم يـرد ، خرجـت مـن المطعـم بعـد ربـع سـاعة ظننـت أنـه أخلـف موعـده ليلفـت انتباهـي شـاب دخـل يجـري إلى أحـد المقاهـي ثـم خـرج معـه بعـض رواد المقهـى يجـرون أحسسـت بقلـق كبـير فاتبعتهـم إلى الطريـق خلـف المقهـى لأجـد عـماد سـاقطا عـلى الأرض غارقـا في دمائـه والباقـي أنـت تعلمـه...

قـال المفتـش موجهـا كلامـه لكلينـا : مـا أسـتطيع إخباركـم بـه هـو أنـه بعـد التحقيقـات التـي قمنـا بهـا علمنـا أن دهـس عـماد لم يكـن حادثـا بـل جريمـة في حقـه وعليكـما مسـاعدتنا بإخبارنـا إن كان لديكـما شـك في شـخص مـا قـد يتجـرؤ عـلى القيـام بهـذا فلربمـا مـن دهـس عـماد لم يكـن لـه مشـكلة معـه شـخصيا بـل مـع حبيبتـه ثـم نظـر إلى نورهـان التـي ردت بـلا تفكـير لا ليـس لـدي مشـكلة مـع أحـد حتـى حبيبـي السـابق لم أتواصـل معـه منـذ فـترة ليسـت بالقصـيرة ولا أظـن أن هنالـك مـن جهتـي مـن يجـرؤ عـلى فعلهـا، إذن أعطينـا مزيـدا مـن التفاصيـل عـن حبيبـك السـابق سنسـتدعيه إلى هنـا فـلا نريـد أن نـترك مجـالا للشـك قـال المفتـش..

وصـل مـراد إلى المخفـر بعـد لحظـات دخـل إلى مكتـب المفتـش وهـو ينظـر إلى نورهـان لم يكـن يبـدو أنـه نسـاها مطلقـا ، نورهـان بدورهـا اسـتأذنت

المفتش لتعود إلى المشفى فوجودها مع حبيبها السابق في نفس الغرفة مع ما ارتكبه في حقها كان مؤلما لها ، بعد مغادرتها سأله المفتش عن علاقته بها حاليا فقال له بأن لا علاقة بينهما الآن كل شيء صار ماضيا وعن مكان تواجده مساء الأحد الماضي قال كيف لي أن أتذكر ثم عاد ليخبره أنه كان مع أصدقائه في المقهى ولم يخرج حتى ساعة متأخرة.. يبدو أن المفتش لم يجد أسئلة ليطرحها على مراد فلم يكن بحوزته أي دليل قد يدينه فأذن له بالإنصراف على أن يبق قريبا لعله أحتاجه مرة أخرى ، غادر مراد وحين هممت بالرحيل أنا أيضا دخلت شرطية مسرعة همست في أذن المفتش طويلا ثم غادرت ولحق بها هو..

قررت الرجوع إلى المستشفى لأطمئن على نورهان وأطلع على حالة عماد وكذلك لأنني مللت من لعب دور المتحري فهذا أتعب رأسي كثيرا..

وصلت إلى الغرفة التي يمكث بها عماد، لا جديد هو مستلقي كأول يوم، كأنه بلا روح لحيته بدأت تغطي وجهه وبجانبه كما كانت دائما نورهان، سلمت عليها لكنها ردت ببرود لم أفهمه، ظننت أنها بدأت تيأس من حالته فقلت: لا تخافي يا نورهان سيفيق وتعودان لبعضكما كما في الأول فردت علي بسخرية : أنا أدعو له بالعودة إلى الحياة وليس بالعودة إليّ فقد حسمت أمري..

أي أمر يا نورهان؟..

لن نعود كما كنا أبدا يا سوار هذا هو الأمر سيستفيق بإذن الله

وسـأخبره بـأني لم أعـد أريـده وأظنـه سـيكون سـعيدا وأنـت كذلـك...
عما تتكلمين يا نورهان ؟؟.. لا شيء أنا أتكلم فحسب ..
ثـم نظـرت إلى عـماد نظـرة جعلتنـي أتأكـد مـن أنهـا لا تريـد تركـه لكـن شـيئا مـا أجبرهـا، هـل يعقـل أنهـا تفكـر في تركـه بسـبب مرضـه هـل أخبرهـا الطبيـب عـن إعاقـة في جسـد عـماد في حالـة شـفائه هـل مـن الممكـن أن تفعلهـا نورهـان هـل يمكنهـا أن تخـون ومـن تخـون ؟؟ مـن أنقذهـا مـن سـوء الخاتمـة، لا أظـن أنهـا سـتفعل هـذا لكـن قـد كان في حيـاتي شـخص يدعـي أننـي وطنـه لكنـه خـان .. خـان الوطـن.. وكانـت في حيـاتي مـن تقـول أننـي توأمتهـا لكنهـا أيضـا غـدرت بي وسـعت في تشـويه صـورتي بـأسراري التـي جمعتهـم عنـي يـوم كنـت أظنهـا توأمتـي حقـا..
نظـرت إلى نورهـان إلى بـراءة نورهـان ثـم عـدت لأنصفهـا كلا نورهـان لـن تخـون وإلا لفعلـت هـذا في أول يـوم مـن مرضـه...
عـدت إلى المنـزل بعدمـا صدمتنـي نورهـان بالضبـط كـما صدمـت السـيارة عـماد، أظـن أنـه لا اختـلاف في الصدمتـين سـوى أنـه يقـضي غيبوبتـه في الفـراش وأنـا أقضيهـا تائهـة مـن مـكان لآخـر .. وجـدت أمـي تنتظـر عنـد البهـو وقـد حـضرت لي بعـض الأكل ، لم تسـألني مـا بـك لأنهـا تعلـم بأمـر صديقتـي التـي لا تخـرج مـن مشـكلة إلا وفتـح لهـا بـاب مشـكلة أخـرى، أكلـت قليـلا مـن أجـل أمـي ثـم صعـدت إلى غرفتـي أطلـب النـوم لأجـد نفـسي أفكـر في مـن دهـس عـماد ، مبـارك عـليّ بالإضافـة لمشـاكلي هـا أنـا صرت تحريـة تضيـف لمشـاكلها مشـاكل الآخريـن بقيـت عـلى تلـك الحـال

أسخر من نفسي لأجد نفسي أفكر في هيثم ..
لماذا أتهمه هو؟ ولماذا قد يفعل هو هذا فعادة كان يأتي إليّ ويوبخني إن فعلت أمرا لا يعجبه؟ لا أظن أنه فعلها لكن لماذا كان يراقبنا في الحديقة أووف رأسي سينفجر ولن يمنع ذلك سوى قرص منوم من دواء أبي...

في اليوم الموالي أي اليوم السابع من غيبوبة عماد استيقظت متأخرة على غير العادة كانت الساعة تشير إلى العاشرة، نزلت من غرفتي لتناول الفطور بعدما قررت أن أكمل هذا اليوم بشكل عادي بلا تفكير في جريمة الدهس ولا مرتكبها وبلا زيارة للمستشفى ،لكن ذلك أضحى مستحيلا خاصة بعدما رن هاتفي ورأيت بأن نورهان من تتصل استغربت اتصالها فقد كانت بالأمس لا تطيق حتى النظر في وجهي ،اتصلت لتخبرني أن عليها أن تذهب إلى المخفر لتجيب على بعض الأسئلة بطلب من المفتش الذي اتصل بها صباحا ، طلبت مني مرافقتها فاتفقت معها على أني سأمر على المستشفى لنذهب سوية.. وصلنا إلى المخفر استقبلنا أحد أفراد الشرطة الذي اصطحبنا إلى مكتب المفتش ، وجدناه يطالع بعض التقارير ازاحها جانبا حال دخولنا ثم طلب منا الجلوس ليطرح بعض الأسئلة على نورهان قاطعته نورهان طالبة منه أن يخبرنا أولا عن جديد التحقيق لكنه لم يأبه لسؤالها ليبادر قائلا: ماهي علاقتك الحالية بحبيبك السابق وما طبيعة علاقتك بعماد؟؟ أجابت نورهان بسرعة لا شيء يجمعني بمراد كل شيء أصبح من الماضي

أما عماد فهو كلي هو الرجل الذي انوي أن أكون أما لأطفاله رغم أني لا أظن هذا ، أشار المفتش لشرطية بجانبه لتسجل ما تقول نورهان ثم أردف قائلا: ما نوع سيارة مراد؟

قالت: لا لم يكن يملك سيارة على الأقل حتى موعد فراقنا ... وقف المفتش من مقعده وراح يكيل الغرفة ذهابا وإيابا وكل خطوة يخطوها تشد أعصابنا شدا تنحنح المفتش ثم تكلم أخيرا : البارحة اتصل بنا أحدهم ليبلغنا عن سيارة مركونة في الغابة منذ صباح اليوم الموالي للحادث كما أنه ليس لدينا متهمين لكني أرى أن شخصا ما يملك دريعة لقتله ألا وهو مراد حبيبك السابق يمكن أن دافع الانتقام منك قد أعماه وربما الغيرة لذلك هو المتهم الأول، كانت نورهان شاردة لا أدري بما تفكر ولكن من المؤكد أنها لم تستوعب الأمر ، كان علي اغتنام فرصة صمتهما لأسأل المفتش عن إمكانية رؤية السيارة لربما تذكرت نورهان شيئا ما ، لم يرفض المفتش ذلك ورافقنا بنفسه إلى مرآب المخفر وما إن وصلنا حتى أشار إلى سيارة من نوع شيفروليه كانت أبوابها الأربع مفتوحة وحتى صندوق السيارة ، بادرت إلى النظر بداخلها ليجدب انتباهي عدد من أعقاب السجائر أسفل مقعد السائق حملت علبة فارغة بعد إذن المفتش إنها سجائر من نوع LM أزرق ذكرتني بحبيبي السابق وبرائحة هيثمي السابق ،فجأة قدمت شرطية إلى المفتش همست في أذنه ليشير إلينا بمغادرة المرآب عدنا إلى مكتبه لنجد مراد هناك يبدو أنهم استدعوه أيضا للاستجواب ، بقينا أنا ونورهان واقفتين عند

الباب من الداخل فيما جلس المفتش قبالة مراد الذي سارع إلى سؤال المفتش عن سبب وجوده هنا رد المفتش : أكرر هل تعرف عماد ..؟ لا لا أعرفه شخصيا ولكني أعرف من يكون ثم نظر إلى نورهان .. ما هو نوع سيارتك يا مراد..؟

كانت لدي شيفروليه لكنني بعتها منذ شهر بسبب ضائقة مالية .. لمن بعتها؟.. لا أعرفه بعتها لشاب دفع لي ثمنها مباشرة وأخبرني أنه سيعود لتسوية الوثائق بعد يومين لكنه لم يعد وبما أنني قبضت أموالي فلم أهتم للأمر .. يؤسفني أن أخبرك أن تلك السيارة قد تسببت في حادث وهي مسجلة باسمك وأنك متهم بارتكاب هذه الجريمة ..

اصفر وجه مراد وشعرنا بارتباكه وقلقه نظر إلى نورهان كأنه يستنجد بها ثم استأذن المفتش لتدخين سيجارة أذن له المفتش ليسارع إلى جانب النافذة ويخرج علبة سجائر من نوع مارلبورو أشعل سيجارة وقال: نعم كان علي أن أسوي الوثائق هذا خطئي لكنني لم أفعلها رد المفتش: للأسف القانون لا يحمي المغفلين ستودع الحبس المؤقت إلى حين محاكمتك فيما كنت أنا أفكر في السجائر التي في السيارة فهي ليست من نوع السجائر التي يدخنها مراد .. نعم كان عقلي يشك في أحدهم فيما يأبى قلبي تعزيز ذلك الشك فيسارع لدحضه... غادرنا بسرعة لنتجه أنا ونورهان إلى المستشفى وبمجرد دخولنا لاحظنا أمرا غريبا الكل ينظر ناحيتنا ظننت للوهلة الأولى أنه اليوم العالمي للنظرات ، ربتت نورهان على كتفي قائلة: عليك أن تكوني سعيدة يا

سـوار لقـد صرنـا مشـهورتين الآن ..

فجـأة رن هاتـف نورهـان : لمَ تركتنـي مـع هـذه الممرضـة الحسـناء ألا تغاريـن عـليّ.. أفـاق عـماد لقـد أفـاق صرخـت نورهـان وصمـت أذني وهـزت قلبـي .. الحمـد للـه الحمـد للـه.. رحنـا نجـري لنصـل لغرفـة عـماد في آخـر الـرواق وأضمـن أننـا بتلـك السرعـة كنـا لنكـسر رقـم توفيـق مخلـوفي... فجـأة توقفـت نورهـان وطلبـت منـي أن ندخـل للحـمام لتضـع بعـض المكيـاج فلابـد أن ملامـح التعـب باديـة عـلى وجههـا لم أسـتغرب فعلهـا فقـد كنـت لأفعـل هـذا لـو كنـت مكانهـا ولا تلـم الأنثـى إن قـررت أن توقـف معركـة حاميـة لتتزيـن لأنهـا رأت حبيبهـا يقاتـل في سـاحة الوغى... اغتسـلت قليـلا ثـم طلبـت مـن نورهـان أن نذهـب إن أكملـت زينتهـا لأجدهـا تنظـر إلى نفسـها في المـرآة حائـرة سـالتها مـا بـك هيـا ضعـي مكياجـك لنخـرج فقالـت مسـتفسرة: سـوار هـل تظنـين أن عـماد يحبنـي بالفعـل؟ رددت عليهـا وأنـا أضحـك سـاخرة: مـاذا تقولـين يـا غبيـة كيـف تشـكين في حبـه لـك؟

قاطعتنـي وقالـت بحـدة: أنـا لا أشـك أنـا متيقنـة فقـد رأيـت خيانتـه عـين اليقـين ... عـلى كل حـال هيـا بنـا إلى عـماد فمهـما يكـن عـليّ أن أكـون معـه هـذه الفـترة...

دخلنـا غرفتـه اسـتقبلنا بضحكـة تخفـي مـن الحنـين مـا تخفـي اقتربـت نورهـان منـه ظننـت أنهـا سـتثب عليـه شـوقا وكادت أن تفعـل لـولا أن شـيئا مـا بداخلهـا منعهـا ، بقيـت أنـا عنـد البـاب لم أقـترب مـن عـماد سـلمت

عليه من بعيد لم أقترب على غير العادة لحاجة في نفسي فهمها عماد، كان ينظر إليها بشوق منقطع النظير ثم قال لقد افتقدتك كثيرا نوراني.. ردت بغيظ افتقدتني أنا فقط ليرد مازحا: افتقدت سجائري سجائر الريم لم أدخن منذ أسبوع لا تقولي أنك نسيت إحضارها ..

فجأة تذكرت سجائر ال LM الأزرق سجائر هيثم هل هي صدفة أن يكون المعتدي يدخن نفس نوعية سجائر هيثم ..؟ لكن المعتدي المزعوم مراد لا يدخن هذه النوعية.إذن؟!؟! خرجت من الغرفة مسرعة وعماد ينادي عليّ لم أرد عليه ورحت أتثاقل الخطى وأصارع أفكارا أتعب صوت ضجيجها رأسي .. ركبت سيارة أجرة متجهة إلى منزلي استعدت في الطريق إليه ذكرياتي مع هيثم هل من الممكن أن يفعلها ؟هل استغل غبائي ليرسم صورة غير صورته الحقيقية في ذهني ؟ تبا إن هي إلا سجائر من الممكن أن يدخنها أي شخص كما أن المرء يمكن أن يدخن أي نوع عند شعوره بالتوتر وهذا ما فعله مراد فقد كان ينوي أن يقتل أحدهم فكيف له ألا يتوتر كيف له ألا يدخن.. هكذا رحت أمنح الصبر لنفسي.

وصلت إلى المنزل، كانت لديّ رغبة كبيرة لأخذ حمام طويل فقد قرأت يوما أن المكوث تحت الماء لفترة يهدئ أعصاب المرء، فعلت ذلك وفعلا هدأت قليلا قليلا فقط، تناولت وجبة غداء متأخرة مع أمي ثم أخبرتها بأني سأخرج ثانية، ليس لدي طاقة للمكوث في مكان واحد لأنني أعذب رأسي كثيرا ، أفكر في كل شيء وأشك في كل شيء ، خرجت من المنزل بعد الزوال ذهبت إلى المشفى فقد أحسست بالذنب بسبب

طريقة خروجي من هناك، وصلت عند صديقايّ لكنني لم أجدهما كما اعتقدت كانت نورهان غاضبة وعماد يلح عليها أن تخبره عن سبب غضبها وما إن لمحني حتى طلب مني أن أساعده في فهم ما يجري أو أن أخبره بأن كان قد حدث شيء أثناء غيابه وما إن أنهى كلامه حتى انفجرت نورهان في وجهه بل في وجهينا غاضبة كنت أعلم سابقا أن لديها مشكلة معي لكن ماذا عن حبيبها؟ما الذي جعلها تشك في حبه لها؟ قالت نورهان بغضب ودموعها تنساب على خذيها : حسنا أنا سأخبرك ثم أخرجت هاتفها من حقيبتها وقالت ماهذا بربك كنت توهمني كل هذا الوقت بحبك في حين كان قلبك عند امرأة أخرى لماذا لماذا ؟؟ صرخت في وجه نورهان : ماذا دهاك ألم تنتظري شفائه بفارغ الصبر ؟

أدارت الهاتف ناحيتي كان فيديو مسجل لتمثيلنا أنا وعماد في الحديقة لإغاضة هيثم؟ من فعل هذا من؟ أكيد ليس هيثم أظننا تعرضنا لمؤامرة؟ لكن من لديه مصلحة من هذا غير هيثم ؟ لا ليس مراد أكيد .. أخذت نورهان هاتفها وحقيبتها واتجهت ناحية الباب وقالت: الآن سأخرج من حياتكما أتمنى أن أراكما عريسين يوما ما وأظنه قريبا وسامحاني لأنني أزعجتكما ...

أردت أن أفهمها بأن ذلك كان مجرد تمثيل لكن ستكون غبية لو صدقت هذا فهي أنثى يسبق قلبها عقلها وتسبق غيرتها تفهمها ، لم أستطع إقناعها فقد حسمت قرارها وغادرت للأبد كما قالت هي ،

عـماد ظـل صامتـا متسـمرا في مكانـه كمـن أصابتـه رصاصـة لم تقتلـه لكنهـا شـلت أطرافـه، جثـوت عـلى ركبتـي باكيـة: أنـا السـبب أنـا مـن طلبـت منـك التمثيـل في الحديقـة أنـا مـن تسـببت في تـرك نورهـان لـك أنـا أتسـبب في حزنـك بينـما كنـت دائمـا ترجـو سـعادتي.. كالعـادة كلـما بكيـت أجـد يـدا تمتـد إليّ لتمسـح دمعـي وكانـت دائمـا يـد عـماد صديقـي الغـالي..

لا يـا سـوار أنـت لم تسـببي لي سـوى السـعادة لاتنـسي أنـك مـن عرفتنـي على نورهـان وكنـت دائمـا بجانبـي فأنـا غالبـا أكـون بعيـدا عـن أهـلي فوجـدت فيـك أهـلي، امسـحي دموعـك هيـا فأنـت غاليـة عـلى قلـب عـماد ولا أريـد رؤيـة دمعتـك مـرة أخـرى ..

لـن أنـس أبـدا معاملتـك لي يـا عـماد لـن أنـس وقوفـك معـي دائمـا ولا أعلـم كيـف أسـدد دينـي اتجاهـك ، عـماد أنـا أريـد أن أتـركك الآن فقـد رحلـت نورهـان بسـببي أنـا وأعـدك أنهـا سـتعود قريبـا إليـك ..

لا يـا سـوار ، لا أريـدك أن تبتعـدي سـتعود نعـم إن كانـت تحبنـي .. عـماد يجـب عـليّ أن أفعـل ذلـك وداعـا وآسـفة جـدا .. خرجـت وتركـت عـماد مبعـثر المشـاعر فيـما كانـت دموعـي تسـبق خطـواتي لكننـي كنـت قويـة بشـكل مـا ، أغلقـت هاتفـي ورجعـت إلى المنـزل بعدمـا قطعـت كل علاقـاتي، الآن عـليّ أن أبـدأ حيـاة أخـرى حيـاة ليـس فيهـا لا نورهـان ولا عـماد .. لا صداقـة لا خيانـة.

قضيـت الليلـة كلهـا أفكـر فيـما آلـت إليـه حيـاتي وعلاقـاتي نورهـان رحلـت وعـماد اضطـررت أن أتركـه وحيـدا وقبلهـما خاننـي هيثـم وخانتنـي وافيـة،

هـؤلاء الأربـع كانـوا تقريبـا علاقـاتي الوحيـدة خـارج عائلتـي واليـوم لا أحـد بجانبـي اثنـين ظلمتهـم واثنـين ظلمـوني، كان شـعوري منقسـما بـين تأنيـب ضمـيري ووجـع الخيانـة لكـن هـل سـأبقى هكـذا ..؟

كلا لـن أتـرك نفـسي داخـل سـجن أفـكاري ، قـررت أن أبـدأ يومـي بلقـاء هيثـم سـأبحث عنـه وأصارحـه بشـكوكي حولـه قبـل أن يرحـل إلى اليمـن.. نعـم هـذا مـا سـأفعله ولا رجعـة في قـراري ، فمراقبتـه لنـا في الحديقـة قبـل وقـوع الحـادث و سـجائر LM التـي يدخنهـا عـادة في السـيارة ورسـالة التهديـد التـي وصلتنـي كلهـا تثـير شـكوكي ، رغـم أي دائمـا أميـل لتبرئـة هيثـم ربمـا هـو بـريء حقـا أو ربمـا هـي بقايـا مشـاعري تجاهـه...

نهضـت صبـاح اليـوم المـوالي وخرجـت باحثـة عنـه ، اسـتعنت بذكرياتنـا لأعـرف أحـب الأماكـن إليـه ذهبـت إلى الحديقـة فلـم أجـده ومـررت عـلى الملعـب البلـدي فلـم أره فقـررت أن أقصـد الجامعـة فقـد كانـت بدايـة التسـجيلات ، لم أسـتبعد أن أجـده هنـاك وفعـلا وجدتـه أمـام مدخـل الجامعـة، يجلـس مـع أحـد أصدقائـه الـذي لم يرقنـي يومـا ومـع سـيجارته التـي لم تفارقـه يومـا، اقتربـت منـه وأنا أسـتغل كل خطـوة أمشـيها في تفحص عينيـه صارتـا ذابلتـين أظنهـما يحنـان لي ، وصلـت إليـه حـاول أن يتجنبنـي بنظراتـه لكـن ملامحـه فضحتـه ، كانـت توحـي بنيـة مغايـرة بـأن يـأتي إليّ عـدوا ويحتضننـي لكننـي مـا كنـت لأقبـل أو ربمـا سـأقبل فقلبـي مـازال بـين أضلعـه ،اقتربـت منهـما وقلـت لـه أني أريـد أن أكلمـه ولـن أطيـل .. لمحـت عـلى ثغـره ابتسـامة منتـصر ، أشـار إليّ أن تقدمـي ثـم لحـق بي ، مشـينا

معـا لكـن كلينـا كان صامتـا، كان ينتظـر أن أبـادر أنـا وهـذا مـا فعلـت.. هيثـم هـل أنـت بخـير ؟..بخـير الحمـد للـه وأنـت؟ ..أحـاول أن أكـون بخـير.. اشـتقت لـك يـا حبيبتـي اشـتقت لـكل تفاصيلـك ..ليـس هـذا مـا جئتـك مـن أجلـه. سـوار ضعـي يـدك عـلى قلبـي واسـأليه كـم اشـتقت فـلا طاقـة لي لأن أشرح ذلـك بلسـاني... هيثـم في فـترة غيابـك كنـت أحلـم بنـا معـا بـلا مشـاكل وبكثـير مـن الحـب لكنـك تركتنـي يـا هيثـم ونسـيت العهـد الـذي بيننـا؟ ... غصبـا عنـي يـا حبيبتـي غصبـا فقـد خفـت عليـك منـي .. ألا تعلـم يـا هيثـم كـم تألمـت لخيانتـك لي كـم تألمـت عندمـا رأيـت يديـك تداعـب فتـاة غـيري، لمـاذا اخـترت أن تصيـب سـعادتي برصاصتـك بـدل أن تقتـل بهـا حـزني... آسـف يـا سـواري كانـت رصاصـة طائشـة ونـزوة عابـرة كانـت يـديّ تضـم يدهـا فيـما كان قلبـي يعانـق روحـك.. إذن لم غبـت عنـي لمـا لم تـأت إليّ لتطلـب الصفـح وأنـت تعلـم أني لا أقـوى عـلى عـدم مسـامحتك .. فضلـت أن أغيـب لفـترة حتـى يخـف ألمـك ويجـف دمعـك بعدمـا رأيتـك تنظريـن إليّ وأنـا معهـا لم أسـامح نفـسي لأني تسـببت في حزنـك لكننـي كنـت أنـوي الرجـوع... لكنـك لم تعـد ولم نكـن لنلتقـي لـو لم أبحـث عنـك... لا بـل عـدت بحـب أقـوى وشـوق أكـبر، حـب لـو وزع عـلى أهـل الصـين كلهـم لكفاهـم وكفـى منهـم ضعفـين ، لكـن ذلـك الحـب وذلـك الشـوق تحـول إلى حقـد عظيـم وغـيرة حارقـة، نسـيتني يـا سـوار وذهبـت مـع غـيري، لم ألمـك فقـد كنـت أنـا البـادئ لكننـي لم أقـو عـلى قتـل الغـيرة بقلبـي..

لم أنسـك يـا هيثـم ولم أحـب غـيرك.. لا بـل فعلـت، كنـت معـه في الحديقـة

رأيتكما ويا ليتني لم أر كأن سهما اخترق قلبي، كنت أعلم أنني أستحق ذلك لكن ليس منك، ليس من حب حياتي، أحسست بأن حياتي انتهت هناك، قتلت داخل أسوار الحديقة فقررت أن أنتقم ...

إذن أنت من دهسته أنت من دهست عماد... نعم أنا من فعل وصدقا لست نادما أبدا... يا هيثم كل ما رأيت في الحديقة كان مجرد تمثيل لكي أشعل نار الغيرة في قلبك أنا من طلبت منه ذلك.. أردتك بشدة يا سوار وكان عليّ أن أبعد كل من يقف في طريقي إليك...، وهل أنت من أرسلت رسالة التهديد تلك... نعم وآسف حبيبتي لم أكن أنوي إخافتك... أنت مجرم... مريض نفسي كيف تفعل هذا سأبلغ عنك الشرطة ألست خائفا ستخسرني وتخسر أحلامك...؟

يا سوار لا تمثلي أمامي فأنا أعرفك أكثر من أي شخص آخر أعلم أنك لن تبلغي عني أبدا ...تعلم أنك أذيت صديقي .. دائما ما كنت أنت أنقطة ضعفي وقوتي فهلا عدنا كما السابق... هيثم لماذا فعلت هذا لماذا؟ لأنني أحبك... كما كانت دائما تلك الكلمة إذا خرجت من فمه سقطت على قلبي كنيزك طائش وقع على الأرض دمر قلبي لكنه صار جزءا منه...

لم أقو على أكثر من ذلك فرحلت عنه أجري ودمعي يسابقني خوفا من أن أستسلم لهواه، رحلت وقد وعدت قلبي بأني لن أفضحه، لن أجره للمحكمة سأداري ألمي المزدوج رغم قسوته فصديقي ضحية وحبيبي مجرم ، لكن هيثم أتى من بلد بعيد يحمل حلما ينوي به منح

الأمـل لعائلتـه وبلـده الغـارق في الحـروب فهـل أسـاهم في سـجنه وإجهـاض حلمـه..؟

كلا لن أفعل ولو سجنت بدله كما سجنت بداخل قلبه .

بقيـت في المنـزل لثلاثـة أيـام، لا أخـرج منـه إلا للمكتبـة لإحضـار بعـض الروايـات ثـم أعـود، ثلاثـة أيـام وهاتفـي مغلـق، لم أعتـد عـلى هـذا أبـدا وهـذا مـا اسـتغربته أمـي وكذلـك أبي الـذي لم يهضـم إغلاقـي لهاتفـي كل هـذه المـدة ، ألـح عـليّ أن أفتحـه متحججـا بأنـه يطلبنـي وهـو في العمـل فيجـد هاتفـي مغلقـا، رضخـت لطلبـه وفتحتـه فوجـدت عـشرات المكالمـات التـي لم أرد عليهـا، كانـت مـن عـماد ولا أحـد سـواه، شـعرت بالذنـب فأنـا لم أسـأل عـن حالتـه منـذ غادرتـه فقـررت أن أزوره في الغـد وأعتـذر لـه..

في اليـوم المـوالي توجهـت صباحـا إلى المستشـفى وحـال رؤيتـي لعـماد أزاح نظـره عنـي كان غاضبـا، اعتقـدت أن سـبب ذلـك هـو عـدم ردي عـلى مكالماتـه أو السـؤال عنـه فرحـت أبـرر لـه وأعتـذر لـه عـن غيـابي ليفاجئنـي بـرده العنيـف: لا لم أكـن أظنـك خائنـة أيضـا يـا سـوار لقـد وقفـت معـك طـوال الوقـت في الـسراء والـضراء، مسـحت دموعـك وحملـت همومـك فلـما خنتنـي يـا سـوار ..

مالذي تتحدث عنه يا عماد؟ أقسم أني لا أفهم عما تتحدث..

أحقـا لا تفهمـين يـا مـن ظننتهـا أعـز أصدقـائي ، في اليـوم الـذي غادرتنـي فيـه اتصلـت بـك مـرات عديـدة لكنـك لم تـردي وفي اليـوم المـوالي كذلـك قلقـت عليـك كثـيرا ، لدرجـة أننـي خرجـت بحالتـي هـذه رغـم تحذيـر الطبيـب

بحثت عنك لأجدك مع حبيبك المجرم عرفت أنه من اعتدى عليّ لكنك لم تخبريني أخفيت أمره عني رغم علمك بما سببه لي ولغيري، ألست بهذا تضعين اسمك على رأس قائمة الخونة ..؟

عماد أنا لم أقصد ذلك ولكن.. ولكن ماذا ؟؟ دافعت عنه رغم أنه مجرم لم أعلم أن هذه مبادئك يا سوار .. نعم أشفقت عليه يا عماد هو غريب عن وطنه فكيف لي أن أرض له السجن وهو قصد بلادنا طلبا في الحرية ..آه أشفقت عنه لأنه غريب ولم تريدي له أن يدخل السجن ألست انا ايضا غريب غادر عائلته طالبا لقمة الحلال فوجد نفسه في المستشفى أليس شأننا نفسه ؟؟ .. آسفة يا عماد... تأسفين بعد غدري بل أنا الآسف يا سوار فقد حان الوقت لأقول لك وداعا.. وداعا.. للأبد يا سوار .. للأبد يا عماد أواثق من هذا؟.. واثق جدا يا خائنة الثقة أخرجي الآن فلا أريد أن أقول أكثر.. خرجت مباشرة كي لا أسمع أكثر ولا أقول فها هو صديقي الأفضل يقاطعني أيضا...

وبينما أنا أهم بالخروج من المشفى إذا بصوت يناديني من الخلف سوار .. سوار ابنتي ، استدرت ناحية الصوت فإذا بها أم عماد ، كم كنت سعيدة لرؤيتها سلمت عليها واحتضنتها بحرارة ، سألتني عن سبب بكائي فأخبرتها أنني تأثرت لحالة مريض بالداخل ، تكلمنا قليلا فأنبتني لإغلاق هاتفي فقد جاءت قبل ثلاثة أيام لرؤية ابنها وأحبت رؤيتي وللأسف ستعود اليوم إلى جيجل ، اعتذرت لها ثم ودعتها بعدما توقفت سيارة بجانبنا لتقلها أخبرتني أنه ابنها سيوصلها ويعود للعناية

بأخيـه...

كل الأبـواب أغلقـت، كل الأنـوار أطفئـت أنـا وحيـدة بـين أهـلي غريبـة في وطنـي ، كلهـم رحلـوا هاتفـي لم يـرن منـذ مـدة حسـاباتي عـلى الفيسـبوك وإنسـتغرام وحتـى واتسـاب لا تحـوي رسـالة واحـدة لهـذه الدرجـة أنـا وحيـدة ، أحسسـت بكآبـة شـديدة حـزن عـلى حـزن دموعـي لم تعـد تـرض النـزول هـي أيضـا تركتنـي روايـاتي تذكـرني بخيبتـي لذلـك تركتهـا قلمـي تمـرد عـلى مشـاعري فلـم يعـد يكتـب مـا أرضـاه .. كلهـم تركـوني وبقيـت أنـا وحيـدة..

حاولـت أن أنـسى كل شيء، أن أبقـى مـع عائلتـي طـوال الوقـت ، حبسـت نفـسي في المنـزل رغـم كرهـي لـه ، فعـلا أكرهـه فقـد كان المـكان الـذي ودعنا فيـه أخـي ، هنـا واجهنـا كل تلـك المشـاكل والأحـزان وفي غرفـة مـن غرفـه كنـت أبـكي هيثـم وأتـألم لخيانـة صديقتـي ، أخبرنـا والـدي أنـه سـيتخلص منـه بسرعـة سـيبيعه لنشـتري واحـدا آخـر أقـل شـؤما لكـن ذلـك لـن يكـون إلا بعـد أن يعتمـر هـو ووالـدتي وقـد قـررا ذلـك بالفعـل بعـد عـشرة أيـام.. عـشرة أيـام أراد فيهـا أبي أن يكمـل كل واجباتـه هنـا تجاهنـا خاصـة لذلـك طلـب منـي أن أخـرج لـشراء أدوات مدرسـية و فسـتان لأختـي الصغـيرة اسـتعدادا لموسـم الدخـول المـدرسي ....

خرجـت في الصبـاح أجـوب الشـوارع مـن محـل إلى محـل اشـتريت الأدوات ثـم ولجـت إلى محـل ملابـس لأختـار ثوبـا لأختـي ، ليقـع نظـري على فسـتان مميـز أبيـض وهـو اللّـون الـذي تحبـه لكـن سـعره أكـبر مـما بقـى معـي من

مـال وهـذا مـا أخـبرت البائـع بـه فـإذا بشـاب يقـول مـن خلفـي خذيـه إنـه عـلى حسـابي .. عفـوا.. مرحبـا آنسـة سـوار .. مرحبـا عـذرا سـيدي لم أعرفـك... أنـا آدم أخـو عـماد لقـد رأيتـك مـع أمـي أمـام المشـفى ...آه تشرفـت بمعرفتك يـا آدم... أمـي قضـت نصـف الطريـق مـن سـوق أهـراس إلى جيجـل تمدحـك وهـذا لا يحـدث مـع أمـي دائمـا ليـس فقـط بسـبب وقوفـك مـع عـماد..

حقـا أتـشرف بـأن تمدحنـي امـرأة رائعـة كأمـك إذن مـاذا تفعـل هنـا في سـوق أهـراس..؟

كان آدم شـابا في أواخـر العشرينيـات أسـمر البـشرة منتصـب القامـة ذو لحيـة خفيفـة وعينـين بنيتـين توحـي بجديـة كبـيرة.. لقـد جئـت للمكـوث مـع أخـي حتـى يكمـل فـترة إعـادة تأهيلـه ويخـرج مـن المشـفى وأنـت مـاذا تفعلـين هنـا أظنـك تودين شراء ملابـس لحضـور خطوبـة عـماد ونورهـان...!

كانـت كلماتـه سـهما يخـترق قلبـي ، عـماد يخطـب ولا يخـبرني ألهـذه الدرجة كرهنـي ، سـابقا كنـت أعلـم بأمـوره قبـل أيـام مـن حدوثها ..

رددت عليـه : كلا بـل لأختـي الصغـيرة أنـا لسـت مدعـوة لخطوبتهـما ولم يعلمنـي أحـد بهـا... مـاذا ؟ هـل أنـت جـادة كيـف لا يدعـوك عـماد أنـا متفاجـئ حقـا .. هـو غاضـب منـي بعـض الـشيء هـذا مـا في الأمـر لكـن كيـف تصالحـا أعتقـد أنهـما افترقـا فكيـف عـادا؟ .. آه صحيـح لقـد روى لي عـماد كل شيء هـي شـكت في خيانتـه لهـا معـك فقـررت أن تبتعـد عنـه وتخـرج مـن حياتـه للأبـد إلى أن حـدث أمـر جعلهـا تقطـع شـكها وتتيقـن مـن أن لا حبيبـة لـه سـواها..

حقا مالذي حدث ؟... عماد بعدما أصابه ما أصابه ودخل المستشفى بقت حاجياته هناك وعندما خرج من المشفى نسيها ولم يأخذها فاتصلت الطبيبة بنورهان لإخبارها بأن تأتي لأخذها وفعلا كان ذلك وعندما رأت نورهان حاجاته وجدت خاتما مكتوب عليه i love u norhan ورسالة تهنئة بمناسبة عيد ميلادها يطلب منها فيها أن تكون زوجته وهذا ما جعل نورهان تعتذر عن شكها وقررا في الحين تاريخ الخطوبة... أنا سعيدة جدا من أجلهما هنئهما عوضا عني أنا أرجوك.. بالطبع سأفعل ذلك... على كل حال سررت بمعرفتك يا آدم وداعا... خيبة أخرى ..جرح آخر.. كانت يداي ترتعشان أحسست بأنه سيغمى عليّ في أية لحظة وبفضل الله استطعت أن أصل للمنزل قبل أن أسقط أرضا ..

ودعت والداي بعدما توسلت لكليهما أن يدعوا لي بتفريج همومي ودعتهما مع أختي وأخي الصغيرين وهما ينطلقان إلى المطار قاصدين بيت الله كم تمنيت لو أرحل معهما لأجثو على أرض الحرم فالبكاء عند الكعبة ليس كبكائي على أرضية غرفتي...

قضيت يومي كله مع أخي وأختي كان ذلك جيدا لاستعادة القليل من ابتسامتي فقد حاولت بقدر المستطاع أن أمرح وأمزح معهما كي لا يشعرا بغياب والداي رغم أنهما لم يكونا صغيرين لدرجة أن يبكيا أو يكتئبا لفراق والداي المؤقت ... بل أنا التي كنت أبكي لأي شيء .

استيقظت باكرا على غير العادة أظن أن والداي قد وصلا إلى المملكة

العربيـة المتحـدة رحـت أتفحـص هاتفـي فوجـدت رسـالة مـن أبي يطمئننـي فيهـا ويوصينـي للمـرة التسـعين بعـد الألـف عـلى إخـوتي أظـن أنـه يؤمـن بـأني صرت فتـاة يعتمـد عليهـا تتحمـل مسـؤولياتها وتعتنـي بغيرهـا لكنـي لا أظـن أنـه يعلـم بـأني بحاجـة لمـن يعتنـي بي أيضـا ... صحيـح اليـوم لـن أعـود إلى النـوم بعـد الإنتهـاء مـن شـغل البيـت فأنـا ربـة البيـت مؤقتـا إلى حـين عـودة أمـي التـي رحـت أفكـر في فضلهـا عـليّ ....

شردت في التفكـير بهـما وبمـكان تواجدهـما مكـة ومـا أعظـم مكـة .. فجـأة رن هاتفـي فقطـع عـليّ شرودي الجميـل كان رقـما لا أعـرف صاحبـه ظننـت أنـه لأحـد أقـاربي يطمـئن علينـا لكـن أبي لم يـوصي سـوى عمـي يوسـف ..

رددت على المكالمة .. السلام عليكم

_ سوار كيف حالك أنا آدم إن كنت تتذكرينني...

_ آه مرحبا آدم أكيد أتذكرك أنا بخير شكرا

_ أنـا آسـف إن ازعجتـك لكنـي ارتأيـت إنّـه مـن واجبـي الإطمئنـان عليـك فقـد لاحظـت عـدم ارتياحـك في آخـر مـرة التقينـا فيهـا ..

_ لا تقل هذا لا لم تزعجني الحمد لله أنا أحسن..

_ الحمد لله إذن أراك قريبا...

_ لا أظن ذلك فوالدايّ ذهبا للعمرة وأنا وحيدة مع أخويّ في المنزل...

_ آه مبـارك لهـما وأسـتحلفك يـا سـوار إن احتجتـم لـشيء فلتتصـلي بي هـذا رقمـي أوكي..

_ أوكي آدم أشكرك..

_ لا أظن أنك ستتصلين لذلك سأتصل أنا لأطمئن عليكم سوار لا تخجلي إن أردت شيئا فما فعلته لأجل عماد يجعل الغالي رخيصا من أجلك..

_ أشكرك جزيلا آدم وسأكون سعيدة باتصالك.

في المساء وأنا ارتشف قهوتي...، حضرت لي فنجان قهوة ثان و رحت أمارس هوايتي التهام الكتب، كان كتابي الثالث لهذا الأسبوع، كنت شرهة جدا في حال كانت وجبتي تحتوي على كتب كما كان يقول صديقي العزيز عماد الذي أشتاقه وبقوة لم أتخيل يوما أن عماد قد يخاصمني لطالما تدللت عليه وأخطأ في حقه لطالما كنت أغيب وأعود لأجده يحمل لي الكثير من الشوق لكنه اليوم ينفيني من حياته كتبت في صفحتي» لا تقل أحبك أرسل بعض الكتب» ...

لم أكن أقصد أحدهم فهيثم لم يهدني كتاب رغم أنه يعرف حبي لهم ولم يفعل ذلك أحد حتى عماد... رن هاتفي وظهر رقم آدم مجددا

_ ألو آدم

_ سوار ... افتحي الباب

_ ماذا هل جننت؟

_ افتحي الباب سوار بسرعة

وقفت مرعوبة كيف تجرأ ... هل فقد عقله ليفكر بزيارتي في بيتي

خرجت مسرعة دون أن أغلق الخط فتحت الباب لم أجد أي أثر له.. انتبهت لأجد شيء ما بجانب الباب لا أدري ما هو حملته ودخلت لغرفتي مستغربة ....

_ ماهذا آدم ؟

_ افتحيها سوار

كانت حزمة كتب لم أصدق شعرت أنني أهذي ... ربما حزني أفقدني بقايا عقلي ... هل أهداني أحدهم حزمة كتب

لم أشكره حتى رحت أقرأ عناوين الكتب بلهفة كطفلة صغيرة فرحة بعلب الحلوى

«ينقصني أنت .... كل شيء بقدر ... أنا قبل كل شيء ... أنت لي»

خرجت في الصباح الباكر ركبت الحافلة كان عليّ أن أقدم كتاباتي لمركز المسابقة التي تخص المواهب الكتابية، لقد كان عماد أول من قرأها ومدحني كثيرا كان قد وعدني بأنه سيكون معي في هذا اليوم فأنا متوترة كثيرا ... نزلت وأنا أرتعش خوفا ... ليس خوفا من تقييم كتابتي فانا واثقة أن ما أكتبه راقي لكني أمضي بخذلان ألفت الخيبات بت أنتظر زيارتها في كل لحظة ... فجأة سمعت اسمي من صوت أعرفه .. لكنني لم ألتفت حتى شعرت بيد تمسك ذراعي ... التفت نحو صاحبها مفزوعة كان عماد ... أفلتت ذراعي ومضيت بسرعة لكنه سبقني وأغلق بذراعيه الطويلة طريقي

_ سوار اسمعيني

_ عماد دعني أمضي ... ثم من أخبرك بوجودي هنا ؟

_ هل ظننتي أنني سأخلف بوعدي ...؟ أردت أن أكون معك في يوم كهذا

_ لا أريدك ... لم تعد صديقي يا عماد يوم أقمت حفل خطوبتك دون أن تعلمني حتى .

تذكرت كل اللحظات الجميلة التي قضيناها معا تذكرت هروبي له في كل مرة تذكرت ثقتي به وتذكرت فعلته الأخيرة خيبة أخرى أحسست بالضعف لأول مرة بكيت أمام أحدهم دخلت في نوبة بكاء ...

تفاجأ عماد ربما نعتني وقتها بالفتاة التافهة التي تبكي دون داعي .. أمسك يدي فتخلصت من يده بسرعة وأنا أسترجع ذكرى التمثيل الذي صدقته نورهان

_سوار يا غبية تبكين .إمسحي دموعك سامحيني أضربيني عاقبيني لا تبكي أرجوك

نظرت إليه بغضب لو فسرت النظرات على شكل أفعال لكنت وقتها أحرقته بنار غضبي ...

_عماد أنت أحمق حقا ... تخليت عني أنت كاذب

_سوار ... لم أتخلى عنك أبدا ولن أفعل . أردت أن أنتقم منك شعرت بالغيرة لقوة حبك لذلك اليمني .. تدافعين عنه وتتسترين على جريمته مسحت دموعي حين أضحكني بطريقته الذكية ودخلنا معا للمركز وكلي ثقة بعد أن عادت لي العصا التي لطالما إعتمدت عليها وقلت بعناد لكني لن أسامحك بسهولة يا عماد ...

لم أتوقع يوما أن نفترق أن يمضي كل منا في طريق مختلف .. أن نستنشق هواءا مختلفا ... كنتي توأمي لا أدري أي حب هذا الذي منحته لك

...؟ يشهد قلبي أنك كنت أغلى من روحي عليّ أمنت بالصداقة من أجلك تخلصتي مني من ذكرياتي من تفاصيلي لكني أتعثر بك لم أتعلم المشي وحدي ... أسير كطفل ظالّ يخاف أن يصطدم بغريب فيظله أكثر.... أنت آكبر خيباتي بل أنت آخرها ... بعدك يا خائنة لم أعد أشعر بالوجع . لقد منحتني مخدر يكفيني مئة عام ويزيد ... لم أكن أشك يوما في ذلك! الحزن ينجذب ليّ يحيط بيّ دوما .. كل ما مررت بمحل بمقهى ببيت يتبعني يهمس ليّ لا تضحكي كثيرا أنا هنا في حقيبتك .. بين ملابسك تحت شعرك معلق بأقراطك ...

أتعرفون ...؟! تلك الضحكة الهستيرية التي تصيبك عندما يلقي عليك أحدهم نكتة فتعلن عن قهقهة قوية وفي طريق رحلتها تتذكر وجعك المنتصب في أول الطريق فتقف أنت في المنتصف تبتلع ضحكتك تختنق تنظر إلى ما تعانيه تشعر بمرارة العالم في حلقك فتعود جارا خيباتك الثقيلة معك ولا تصل إلى النهاية أبدا ... كان يحدث معي هذا كل ما تذكرتك ... عيناك السوداوتان باتت ترعبني أخاف أن يقرأك العالم في عينايّ أخاف أن يفضحوني أن يكتشفو اسمك ونسبك ووطنك .. أخاف أن يعلموا كميات حبي بل جنوني .... كل ما استرجعت لحظاتي معك نعتها بالجنون لم أكن يوما عاقلة في حبك .. كنت فوضاوية شرسة متناقضة متوترة مرتعشة خجولة كنت أحبك والحب مرض يا هيثم ... دسست في قلبي مرضا و نسيت أن تصف لي الدواء بل وصفت لي دواء محظورا من البيع ... اليوم تأكدت كم أشبه وطنك حقا ... كلانا جريح كلانا

يبكي غدر الأحبة وكلانا قوي فأنا كاليمن صامدة لا أسقط يا هيثم لا أنحني.

اتصل بيّ عماد ليخبرني أنه قد سامح هيثم وتنازل عن حقه.. هيثم الذي تسبب له في الحادثة من أجلي شكرته كثيرا وقبل أن يرد جاءني صوت أمه الحنونة تطلب منه أن يعطيها الهاتف تحدثنا كثيرا عن كل الأمور عن الموديلات الجديدة والأكلات التقليدية باختصار كنا نثرثر انتبهت فجأة أن هاتفي يرن وكان المتصل آدم ودعتها قائلة أن أختي تريدني . ..

و ضغطت مباشرة على زر الرد .. مرحبا آدم كيف حالك .. ؟ آها اسمه آدم إذن ... انتبهت للرقم مفزوعة كان هيثم لم أنتبه وأنا أرد ... مرحبا هيثم ... سوار من آدم ؟ لماذا تسأل هل تريد أن ترتكب جريمة أخرى.. سوار تكلمي ! ماذا تريد مني هيثم .. أريد أن أراك ... واتفقنا على أن نلتقي غدا صباحا ... ربما هو قلبي الذي كان ينتظر لقاء آخر .....

اتصلت بآدم فجاءني صوته الرجولي الهادىء الواثق مرحبا آدم .. من كنت تحدثين ؟ .. لماذا تسأل ؟ آه آسف لكنه فضول . لا مشكلة في فضول كهذا كنت أحدث أمك ... آها يا سلام ماذا فعلتِ لها تحبك كثيرا ؟ فقط أحبها أكثر. ... حقا آدم شكرا على الكتب لقد التهمتها كلها ... هههه أنتِ دودة جميلة . ..سوار أنا مشغول الآن أرجوك إن احتجتِ أي شيء اتصلي فورا أوك شكرا .

في اليوم الموالي وبما أنه قد مرت أيام منذ رحيل والداي إلى البقاع

المقدسة ، كان عليّ أن أخرج للتسوق، كرهت الخروج بمفردي لم تعد هنالك وافية التي كانت تخطو معي كل خطوة ، فكرت في الاتصال بآدم خاصة وأنه بسوق أهراس لكنني ترددت قليلا لحداثة معرفتي به ثم تشجعت أخيرا واتصلت به لم يرفض طلبي وأخبرني بأنه سيأتي بسيارة أجرة ويمر على منزلي لنذهب معا لكنني أخبرته برغبتي في الذهاب مشيا فقد مللت مكوثي في المنزل بلا حركة ، لم يجعلني أنتظر كثيرا حتى رنّ هاتفي ، نظرت من النافذة فإذا به ينتظرني بالخارج ، مشينا قاصدين السوق ، لاحظ خجلي فبادر بالكلام قائلا :إذن هل سنكمل الطريق صامتين هكذا ؟ قلت : لا أدري ولكن ليس لدي ما أقوله ..!

إذن أريد التعرف عليك أكثر يا سوار .. حقا ؟ لماذا؟..فقط كي أعلم مع من أتمشى فقد تكونين تاجرة مخدرات فتقبض علينا الشرطة وسيظنون أنني شريكك..

ضحكت لخفة دمه وقلت: وهل أبدو لك كتجار المخدرات ..؟ ثم إنني قانونية لا تنسى ذلك آه أظن ذلك فتجار المخدرات يعرفون كيف يجعلون المرئ يحبهم من أول نظرة وكلمة وأنت تملكين القدرة على فعل ذلك ..

قلت: أخبرني عنك أنت ما هي مهنتك فلدي الحق أيضا في معرفة من يتمشى معي.. أنا دركي وأنا الآن في إجازة سأضيعها في الاعتناء بشقيقي الغبي جئت به صباحا لطبيبه... إذن عليّ أن أخاف منك فقد تقبض عليّ .. سيكون شرفا لي أن أفعل ذلك لكن سأسجنك في منزلي لأن السجون

النسائية ممتلئة.. أيعقل ؟ لمَ امتلأت ؟.. بالنساء اللواتي يقتلن الرجال الذين يزعجوهن.. لا بأس أظنهم سيجدون لي مكانا بنفس التهمة ، رد آدم وهو يضحك: إذن نلتقي في السوق في العادة لا أرافق النساء

ههه لا عليك لا تقلق لست مجرمة اسأل عماد عن ذلك .. انظري هنالك متجر لبيع الورود دعيني أشتري لك وردة لعلها تشفع لي عندك فلا تأذينني .. لا شكرا.. هيا لا تجادليني ، تقدمنا إلى بائع الورود ، سأل آدم البائع عن أجمل الورد عنده فرد البائع المسن : أظنك تريد وردة لحبيبتك ما رأيك في تلك الوردة الحمراء هناك إنها جميلة كحبيبتك أليس كذلك ، ما إن قال حبيبتك حتى نظر آدم إليّ وابتسم ابتسامة عريضة فيما احمررت خجلا وطأطأت رأسي ، قدم لي آدم الوردة و قال ضاحكا: لقد أحببت هذا العجوز حقا ما رأيك أن نزوره يوميا؟

قلت: هل تريد أن تموت مازلت شابا ... ، ضحك وضحكت ومضينا إلى السوق.

أحرجني آدم بإصراره على دفع ثمن مقتنياتي متحججا بأن غياب أبي عن المنزل يحتم عليّ إدخار المال لكني رفضت رفضا قاطعا وزدت إحراجا لما دعاني إلى وجبة غداء على حسابه وقبلتها طبعا، دخلنا المطعم أكلنا الشاورما ثم عدنا قاصدين المنزل ، خفت أن تحدث لنا مواقف أخرى فاصريت على الرجوع في سيارة أجرة مبررة ذلك بألم في قدمايّ.. ركبت بجانبه في سيارة أجرة صمتنا قليلا ثم قطع ذلك بسؤاله عن هوايتي فقلت: أحب مطالعة الروايات وكذلك الكتابة وأنت؟ أنا رسام سيء ،

لـدي نمـاذج في حقيبتـي هـل تريديـن رؤيتهـا ؟ .. أكيـد سـيكون ذلـك رائعـا ، أخـرج بضعـة أوراق بيضـاء مـن حقيبتـه: يـا إلاهـي أنـت فنـان كبـير ولسـت مجـرد رسـام هـاوي وتقـول أنـك رسـام سيء لكـن .،، لكـن مـاذا ؟ رسـوماتك بموضـوع واحـد كلهـا تجسـد الحـب .. وأنـت عـن مـاذا تكتبـين غالبـا ؟ غالبـا الحـب و الحـرب ..لديـك حبيـب إذن؟ لا لم يعـد لـديّ...إذن أنـت تكتبـين مـا ينقصـك وأنـا كذلـك أرسـم مـا ينقصنـي أنـا أيضـا ليـس لـدي حبيبـة ..آه حقـا أسـتغرب هـذا ..لِمَ؟، لأنـك إنسـان طيـب مـن الطبيعـي أن تكـون لـك حبيبـة ..

هـل تظنـين ذلـك حقـا ؟ إذن سـأغمض عينـي ثـم أختـار أول فتـاة تراهـا عينـي بعـد أن أفتحهـما لأرتبـط بهـا ، أغمـض عينيـه ثـم فتحمهـا مبـاشرة وقـال : يـا للعجـب ! لم أر سـوى فتـاة واحـدة ثـم مـزق قصاصـة مـن الـورق مـن ورق الرسـم خاصتـه ثـم لفهـا عـلى شـكل خاتـم وقـال : إذن سـوار هـل تقبلـين الارتبـاط بأحمـق مثـلي هـاتي يـدك ؟، ضربتـه ضربـة خفيفـة عـلى كتفـه بحقيبتـي وقلـت : طبعـا لا أقبـل يـا غبـي هيـا أوقـف التاكـسي لقـد وصلنـا .. أووووف وصلنـا بسرعـة عـليّ أن أرش السـائق في المـرة القادمـة لـكي يلـف بنـا المدينـة كلهـا .. نزلـت مـن السـيارة ودعتـه فقـال أليـس عليـك أن تشـتري أواني أيضـا أنتظـر اتصالـك غـدا .. يـا لـك مـن غبـي قلـت لـه ، دخلـت إلى المنـزل أغلقـت البـاب وأسـندت ظهـري إليـه وأخرجـت ضحكـة هسـتيرية، لطيـف حقـا هـذا الفتـى ، فاجـأني عمـي بقدومـه ،لم أكـن أعلـم أنـه هنـا في منزلنـا ، قـال والدهشـة تغـزو ملامحـه: مـا بـك يـا سـوار هـل

جننـت ؟ احمـررت خجـلا حتـى أحسسـت بحـرارة تخـرج مـن أذنـاي .. قلـت لا شيء يـا عمـي ودخلـت إلى المطبـخ وأنـا أقـول فعـلا لقـد جننـت أو بالأحـرى قضيـت سـاعتين مـن الزمـن رفقـة مجنـون .

بعدمـا صليـت العشـاء ، اسـتلقيت عـلى فـراشي ورحـت أتذكـر مـا حـدث اليـوم مـع آدم وأنـا أبتسـم وتـارة أضحـك بصـوت عـالي لموقـف مـا حـدث وأنـا معـه ثـم أضحـك مـرة أخـرى عـلى نفسـي لأننـي أضحـك بمفـردي ، هـل جننـت ؟ ربمـا لكننـي كنـت قـد نسـيت آخـر ضحكـة خرجـت مـن قلبـي قبـل أن ترتسـم عـلى شـفاهي لـولا أن أتى آدم فذكـرني بشـكل ضحكتـي ، رحـت أسـتمتع بتذكـر المواقـف الواحـد تلـو الآخـر ، الخاتـم الورقـي الـوردة والشـيخ بائـع الـورد الـذي ظـن أني حبيبتـه .. تذكـرت شـيئا مـا فقمـت مصعوقـة .. هيثـم .. مـن المفـروض أن موعدنـا اليـوم لقـد نسـيته وذهبـت مـع آدم مـا أغبـاني ..

أمسـكت هاتفـي ، حاولـت أن أبـدو هادئـة واتصلـت بـه ، لم يـرد في المـرة الأولى ، طبعـا أعـرف هـذا التـصرف لا أرد عليـك للمـرة الأولى لتعـرف أني غاضـب فتعمـل حسـابا لاتصالـك الثـاني ، رد عـليّ في المـرة الثانيـة: هـاه مـاذا تريديـن ؟ اسـتعنت بكيـدي وقلـت هـل أعلـق ؟ لم أحتـج لأكـثر مـن هـذا لأخضعـه ، قـال: لمَ لم تـأت اليـوم هـل نسـيتِ أن لدينـا موعـدا ؟ لا لم أنـس يـا هيثـم لكـن تعـرف ظـروفي والـداي غائبـين وعمـي أتى إلى منزلنـا فلـم أرد أن أتركـه وآتي لكـن غـدا سـنلتقي أعـدك بهـذا ...حسـنا غـدا إذن لا تنسـيني ..لا لـن أنسـاك... بـاي هيثـم .

كان عـليّ أن أفي بوعـدي لهيثـم ، تركـت فـراشي باكـرا وأكملـت مـا عـلي مـن واجبـات في المنـزل ، توجهـت إلى أحـد مطاعـم المدينـة الـذي اتفقـت مـع هيثـم أن نلتقـي فيـه ، دخلـت فلمحتـه في زاويـة المطعـم قـد وصـل قبـلي ، سـلمت عليـه وجلسـت أمامـه ..بـادر هـو بالسـؤال عـن حـالي قلـت بخـير وأنـت رد بأنـه بخـير بعدمـا رآني فقـد تخـوف أن لا أحـضر كـما فعلـت البارحـة ، اعتـذرت لـه مـرة أخـرى قاطعنـي وقـال : حدثينـي عـن أخبـارك فقـد اشـتقت إليـك سـوار...كان عليـك أن تجتهـد لمعرفـة أخبـاري.. أقسـم أننـي أحببـت أن أراك في كل مـرة وأسـألك عـن حالـك لكـن ظـروفي.. أي ظـروف أتقصـد أنـك كنـت مشـغولا بدهـس القريبـين منـي .؟

آسـف سـوار كان الأمـر خـارج إرادتي... إذن أتعلـم مـا هـي اخبـاري ؟، أتريـد أن تعـرف مـا حـدث لي في غيابـك! إذن اذهـب إلى كل زاويـة في منـزلي اسـألها كـم بكيـت بسـببك ، اسـأل كل شـارع في مدينتـي يخـبرك أني مـررت عليـه عـشرات المـرات لأصلـح مـا أفسـدته أنـت بأنانيتـك ... سـوار أعلـم أنّنـي ظلمتـك وآسـف لذلـك... اذهـب واسـأل ذلـك الـذي دهسـته كـم توسـلته ليسـامحك هيـا إذهـب مـا يغنـي عنـي أسـفك شـيئا يـا هيثـم... بحـق أيامنـا الخـوالي يـا سـوار فلتغفـري.. مـاذا تعلـم عـن أيامنـا الخـوالي كنـت معـك نعـم السـند لكنـك خذلتنـي بعتنـي واشـتريت مشـاعر الحقـد و الكراهيـة..... سـوار أود أن نعـود كـما كنـا .. كيـف كـما كنـا يـا هيثـم.. سـوار كان الـكل يحسـدنا عـلى الحـب الـذي كان بيننـا .. أمـا زلـت تتكلـم عـن الحـب أمـا تخجـل لقـد لطخـت كل تلـك المشـاعر الصادقـة التـي كنـت أكنهـا لـك

بأنانيتك ... عودي إليّ لا أطيق العيش بدونك...لا مللت التضحيات أريد حياة بلا خيبة بلا إجهاض لأحلامي .. سامحيني على ما مضى لقد أصابني العمى.. وما يظمن لي أنك قد شفيت؟.. ليس لي سوى حبك أضمن لك به كل شيء سأكون الوحيد الذي يضحي سأضحي بكل تلك المشاعر التي ابعدتني عنك، سأضحي بنزواتي لن تكون في حياتي سوى سوار وحب سوار أعدك ..لقد أخطأت كثيرا ولا أضمن أنني قادرة على أن أسامحك بعد ...إن رأسي بين يديك أنت الجلاد وأنا المحكوم عليه بالإعدام فإما تهبينني الرحمة فتمنحيني قلبك وإما تسلبين مني الحياة والحياة أنت فهلا رحمتي قلبي؟ فتفضلت... فعلا أشعر بالشفقة على هذا الفتى إنه كمن يطلق الحمام ثم ينوي اصطياده من جديد فإن أنا سامحته ما أدراني أنه لن يطلق الحمام مرة أخرى.. شعرت بتبعثر مشاعري لكنني هذه المرة وعدت نفسي أن يكون عقلي هو الفيصل لا قلبي، نظرت إلى عينيّ هيثم مطولا عسى أجد فيها نيته الحقيقية ، كانت هي أيضا غامضة متقلبة كتقلبه لا تبوح بأسرارها بسهولة على غير العادة أم أنها لم تعد قاتلتي ، رددت على هيثم أن أترك لي وقتا لأفكر فقال: فقط ارحمي قلبي يا سوار أنا أتعذب لكل دقيقة تمر بدونك ... نعم عليك أن تشرب من نفس الكأس التي شربت منها حتى ارتويت .. حسنا سأجيبك بعد أيام سأتصل بك والآن وداعا... لن أقول وداعا يا سوار سأقول إلى اللقاء عسى اللّقاء يكون قريبا ولن يكون بعده وداع أعدك.

يعاتبني الكون لغيابك يا هيثم ... فتكشر الجارة في وجهي إذا ما مررت بها بسبب ابنها العاصي ... و يقابلني سائق الحافلة بملامحه الغاضبة لأن زوجته تشتكي نقص المصروف ... ثم يسقط هاتفي دون سبب وأرتطم بعمود الكهرباء البعيد كل البعد عن طريقي وتباع كل الجرائد فلا أجد جريدة أقرأها وتخاصمني الأزهار فتصدني بشوكها ويرحل الفرح مقسما بأنه لن يعود مادمت بعيدا فهل أعيدني إليك ليرقص الفرح وتبتسم لي الجارة ويقابلني سائق الحافلة بحضن كلماته الطيبة ...

في طريقي إلى المنزل لم أفكر سوى في أمر واحد ..! هيثم.. هل يعقل أنه تغير ، هل هذا هو هيثم الذي أعرفه هيثم الذي أحببته ، تتقلب الأفكار داخل رأسي وتتغير آرائي حوله ، لربما هيثم الذي أحببته كان مجرد شخص ارتدى قناع الطيبة والحنان ولم ينفك أن زال قناعه فبان على حقيقته أو ربما ما فعله مجرد نزوة من نزوات الرجال أو تغلب مؤقت حتمته الظروف لمشاعر الكراهية والأنانية في قلبه على مشاعر الحب والوفاء ، على كل سيكون الوقت كفيلا لكشف الحقائق و ثبوت رأيي حوله ، حسنا قد أعطيته فرصته وستكون الأخيرة..

قبل الوصول إلى المنزل مررت على المكتبة لربما أجد ما يرضيني ويعدل نفسيتي ، كان صاحب المكتبة يلقبني بآكلة الكتب قال لي ذات مرة أنني أفضل أنيسة لمكتبته فأنا الوحيدة التي لم أخنها أبدا... أزورها و أدلل كتبها ، حملت من بين الكتب رواية «امرأة بطعم التوت» التي قرأتها سابقا حملتها وبدأت أقلب صفحاته فإذا بصوت من خلفي

يقـول: أو ربمـا امـرأة بطعـم النبيـذ الأحمـر سـيكون أفضـل في حالتـي أنـا، اسـتدرت فوجـدت آدم يقـف خلفـي لم أره عنـد دخولـه المكتبـة فقـد كنـت مشـغولة بتفحـص الكتـب رددت عليـه ضاحكـة: امـرأة بطعـم النبيـذ الأحمـر أظنهـا أسـكرتك يـا آدم حتـى صرت ترسـم مكبوتاتـك عـلى ورقـة..

في الواقـع هـي تمنحنـي كل مـرة قطـرة فـلا هـي منعـت قطراتهـا عنـي فانتهيـت ولا هـي أسـقتني كثـيرا فانتشـيت ..

إذن قـد أسـكرتك فعـلا .. أسـكرتني مـن أول نظـرة وأنـا الآن أرجـو الثمالـة.. حسـنا سـأختار روايـة بوليسـية وبعدهـا أروي لي عـن امرأتـك تلـك بطعـم النبيـذ الأحمـر لربمـا رأيـت أنهـا تسـتحقك فأخبرهـا عـن حبـك ولربمـا كتبـت عنهـا روايـة ... سـيكون ذلـك رائعـا إذن انـهِ روايتـك سريعـا.. آه نسـيت أن أسـالك عـن حالـك.. غبـي ، هـل أنـت غبـي هكـذا دائمـا أم أحيانـا فقـط.. حسـنا سـأخبرك بـسر وهـو أن مـن يعرفوننـي ينادوننـي بالنابغـة الغبـي.. ههـه نابغـة غبـي كيـف ذلـك..؟

نعـم نابغـة إذا حكمـت بعقـلي وغبـي إذا دخـل قلبـي عـلى الخـط لذلـك أنـا غبـي كلـما رأيتـك... تـوردت وجنتـاي حتـى أحسسـت بحـرارة تلفنـي ، أكيـد هـو يقـول هـذا لآن هـذا طبعـه مـرح بشـوش غبـي ، قلـت لـه وداعـا إذن يـا نابغـة غبـي سـأعود إلى المنـزل.. هـل تسـمحين لي بمرافقتـك؟.. حسـنا لا بـأس علنـي أسـتمتع بغبائـك أكـثر .. في الطريـق كان آدم شـخصا مغايـرا لآدم في المكتبـة صـار جديـا أكـثر أو ربمـا هـذا مـا يقصـده بالنابغـة لا مـكان للهـزل وقـت الجـد والعكـس ، سـألني عـن كتابـاتي عـن رغبتـي في تحقيـق

أحلامي فقلت : أنا أكتب تارة وتارة أحذف كل شيء .. لماذا ألا تثقين في كتاباتك..؟

لا بل كل الثقة لكنني ميزاجية ، كل أمر بسيط قد يبكيني ويدفعني للتخلص مما كتبت ورمي أفكاري ...

نظر آدم إلى السماء وقال: لا يا سوار عليك أن تحققي حلمك وسأساعدك على ذلك.. حقا؟ كيف ستساعدني على الكتابة فهذه ليست هوايتك أنت رسام.. سأساعدك لكن ليس بالكتابة بل بالتخلص من تلك الأمور البسيطة التي تحزنك و تمنعك من الكتابة .. لكن لماذا تنوي مساعدتي؟.. أريد ذلك لتساعديني أنت أيضا ..ماذا؟ كيف أساعدك أنا و أنا التي تطلب المعونة؟... أنا أيضا أهوى الرسم وأود أن يرى الناس رسوماتي لكنني لم أعرض يوما ما رسمت إلاّ على أفراد .. أريدك أن تساعديني فقط بحضورك وإيجابيتك فأنا أعاني من نقص ثقة... إذن سأساعدك وتساعدني هذا قصدك.. بالضبط عسى أن نحقق أحلامنا معا .. أنت ذكي فعلا يا آدم... أعلم ذلك وسأكون المسؤول الأول في مشروعنا مشروع النجاح لكلينا فأنا الأذكى هنا... هههه غبي.. لا بل ذكي فقد جعلتك تصفينني بالغبي والذكي في فترة قصيرة .. غبي غبي أنت غبي يا آدم والآن وصلنا إلى المنزل هيا وداعا.. ألن تعزمينني على الغذاء ؟.. كلا كان عليك أنت أن تفعل هذا ياغبي ونحن في الطريق إلى المنزل فالمطاعم في كل مكان..آه صحيح أعترف أنني غبي وداعا نلتقي قريبا.. وداعا آدم وشكرا لك على مرافقتي...

صباح اليوم الموالي استيقظت باكرا فقد وصلتني رسالة ليلا من أبي مفادها أنه مع ظهر هذا اليوم ستحط الطائرة التي تقل حبيبايّ في مطار عنابة ، أبي وأمي اللذان مهما أحصيت فضلهما كنت مقصرة ، أيام قضاهما بعيدين عني كانتا عمرا كاملا ، أيام كأنها حياة أخرى أقل جمالا وأكثر بؤسا، قمت وأخواياّ ننظف ونرتب البيت لاستقبال والداي ، اتصل بي آدم ليطمئن كالعادة فأخبرته بقدوم والدايّ بعد الظهر، سألني إن كنت أنوي تقديم هدية لهما ، أعجبتني الفكرة لكنني قلت له بأنني مشغولة بترتيب البيت وتحضير الطعام ، أكملت عملي قبل منتصف النهار اتصل آدم مرة أخرى: سوار افتحي الباب ، ذهبت مسرعة إلى الباب فتحته فإذا بي أجد أمامه ورودا من شتى الألوان وعلبتين مغلفتين فقلت: ما هذا يا آدم أنت أحضرت كل هذا؟.. نعم يا سوار مجرد ورود للزينة من أجل استقبال والديك وهديتين لهما أتمنى أن تعجبك، لكن لما فعلت هذا يا آدم .. أنسيت اتفاقنا أساعدك على تخطي كل ما يؤرقك وإبداله بما يسعدك. أسعدني حقا يا آدم شكرا لك لا أدري كيف أرد لك جميلك .. فقط لا تناديننني بالغبي بعد الآن... لا مستحيل يا غبي هيا أقفل الخط سيصل والداي بعد قليل.. غير معقول هذا الآدم .. أقفلت الخط وضحكت حتى اغرورقت عيناي دموعا ، فعلا إنه يساعدني كما لم يفعل أحد من قبل ...

وصل والداي أخيرا والنور يشع من وجهيهما ، كانا سعيدين للغاية عكس ما كانا عليه هنا ،كيف لا وقد كانا في أطهر البقاع ، سعدت

لأجلهما منحتهما هديتا آدم ، سعدا لذلك حقا وكانا سعيدين أكثر لأنني استطعت أن أعتني بأخواي في فترة غيابهما ...

قضيت المساء كله مع والداي أتعبتهما بالسؤال عن كيف كانت عمرتهما ؟ صفا لي الكعبة ؟بماذا أحسستما؟ سألتهم عن كل التفاصيل، قالت لي أمي أنها دعت لي هناك بألا أرتبط بمن ينوي بي شرا وأن تتحقق أحلامي وأجد الطريق إلى سعادتي ، أشعرني كلامها بالأمان حقا فنمت مرتاحة البال ، قريرة العين آملة أن يكون الغد أجمل...

مرت ثلاثة أيام منذ أن التقيت بهيثم وطلبت مهلة للتفكير في إمكانية رجوعي إليه ، كان يتصل أحيانا فأسأله ألا يضغط عليّ فذلك ليس في صالحه ، رنّ هاتفي وأنا أحضر الغذاء ظننته هو فأبيت الرد ، أعاد الاتصال فرددت غاضبة قائلة: ألم أقل لك أن تترك لي وقتا فرد وهو يضحك: حسنا لك كل الوقت المهم أن تذهبي معنا ، كان عماد من يتصل قلت محرجة : آسفة عماد لم أكن أعلم أنك من تتصل .. آه يبدو أنه أزعجك كثيرا .. لا عليك لكن إلى أين أذهب معكم لم أفهم .. حسنا هنالك رحلة سياحية مبرمجة بعد غد إلى تاغيت ، سنذهب أنا وآدم ونورهان وأريدك أن ترافقيننا ، سنذهب في حافلة مع سائحين آخرين، ما رأيك ؟..لا يا عماد ، لا أريد الذهاب ، لست معتادة على هاته الرحلات البعيدة آسفة ..

سوار ، ليست بعيدة ما دمت معي، لا تقلقي لشيء سيكون ذلك رائعا أعدك ، لطالما أردت زيارة الصحراء ورؤية أشعة الشمس تنعكس على

الرمـال عنـد وقـت الغـروب، كـما أنهـا تاغيـت سـنلتقي بسـياح أجانـب سـيكون الأمـر سـاحرا.. حسـنا يبـدو أنـه أسـبوع المهـلات اتـرك لي وقتـا وسـأرد عليـك عندمـا اتخـذ قـراري.. أوكي ولتعلمـي أننـا بدونـك لـن نذهـب.. سـأرد عليـك وداعـا...

فعـلا أريـد الذهـاب إلى ذلـك المـكان ، كنـت أراه عـلى التلفـاز وكنـت أقـول يـا ليتنـي أذهـب هنـاك يومـا مـا ، أعشـق الصحـراء ومنظـر الغـروب هنـاك رائـع كـما أن ذلـك قـد يمنحنـي راحـة نفسـية ويعـدل مزاجـي خاصـة مـن ناحيـة التفكـير في هيثـم ، لكـن ليـس في رحلـة جماعيـة أكيـد سـيقلق عـليّ والـدايّ ، هـذا إن سـمحا لي بالذهـاب ، كلا لـن أذهـب سـأتصل بعـماد غـدا لأعتـذر لـه عـن الذهـاب..

في المسـاء اتصلـت نورهـان ، علمـت سـبب اتصالهـا قبـل أن أرد ، هـي تريـد إقناعـي بالذهـاب معهـم ، رددت عليهـا: مرحبـا نورهـان كيـف حالك..بخـير سـوار أكيـد سـتذهبين معنـا .. كلا يـا نورهـان لا أسـتطيع أنـا حتـى لا أقـدر عـلى طـرح الأمـر أمـام والـدايّ.. سـوار أنـا أيضـا ذاهبـة مـمّ تخافـين ... تعرفـين لسـت معتـادة عـلى هكـذا أمـور.. لكـن كل شيء يبـدأ بـأول مـرة ، أعـرف مـا يقلقـك لكـن الأمـر ليـس بهـذا التعقيـد سـنذهب في حـوالي ثلاثـين شـخصا نسـتمتع بمناظـر الصحـراء السـاحرة ونلتقـط الصـور التذكاريـة ..

لا بـأس إذهبـي يـا ابنتـي ، كانـت أمـي خلفـي اسـتمعت لـكل كلامنـا عـلى مـا أعتقـد ، أقفلـت الخـط بعدمـا وعـدت نورهـان بـأني سـأرد عليهـا الليلـة، قلـت: لكـن يـا أمـي عدتمـا حديثـا مـن مكـة فكيـف أترككـما وأذهـب ..

لا عليك أنت تستحقين هذا اذهبي واستمتعي بوقتك سأكلم أباك.. ذهبت أمي إلى أبي وهو يشاهد التلفاز وأخبرته بأمر رحلتي لينادي عليّ مباشرة.. ذهبت إليه وجلة ، سألني عمن سيرافقني فقلت مع صديقتي وباقي السياح الآخرين فرد مباشرة: المهم خذي معك كل ما يمكن أن تحتاجي إليه .. لاحظ دهشتي فقال أنا أثق بك لم تخذليني يوما اذهبي واستمتعي مع أصدقائك، عانقته وأمي شكرتهما واتصلت بنورهان لأخبرها أنني موافقة، سنذهب أربعتنا ..

صباح يوم الرحلة اتصل بي آدم ليخبرني أننا سننطلق في حوالي الساعة الثانية بعد الزوال وذلك لنصل صباحا إلى تاغيت باعتبار أننا سنقطع حوالي 17 ساعة في الطريق ، طلبت منه أن يمر عليّ مع عماد ونورهان لنذهب سوية ورحت أحضر نفسي ومستلزمات الرحلة ..

انطلقت الحافلة في الوقت المحدد ، جلس آدم بجانبي وبدأ بثرثرته المعهودة قائلا: حسنا يا عزيزتي لدينا 17 ساعة في الحافلة جنبا إلى جنب لذلك أرجو أنك لم تنسي أن تجلبي الكثير من الصبر معك... ضحكت وقلت اصمت قليلا يا غبي وقلي ماذا تريد أن تفعل هناك.. حسنا أريد فعل الكثير أريد البقاء معك والمشي معك و الثرثرة معك... كم مرة أحتاج لأن أصفك بالغبي حتى تتوقف عن بلاهتك هذه ... لا داعي لترهقي نفسك فمعك أصبح طفلا صغيرا..

نهرته :آدم إياك...! تغيرت ملامحه فشعرت بأنه جرح نوعا ما لتأنيبي له ثم قال: آسف لم أقصد.. ضربته على بطنه ضربة خفيفة وقلت:

غبـي أنـا أمـزح معـك لا تأسـف لكنـه بقـيّ متصلـب الوجـه فاضطـررت أنـا للثرثـرة بدلـه فقـال ضاحـكا: أظـن أننـي ممثـل بـارع أليـس كذلـك ..؟ غبـي.. حسـنا جديـا أريـد زيـارة بعـض الأماكـن في تاغيـت كفندقهـا وقصرهـا وواحاتهـا و الحـمادة والفقـارات لعلنـي أرسـم لوحـة مميـزة.. حقـا تريـد فعـل ذلـك..؟ نعـم لقـد جلبـت معـي مسـتلزمات الرسـم .. وأنـا أيضـا أريـد كتابـة روايـة و أنـا حـول النـار عـلى الكثبـان الرمليـة .. سـيكون ذلـك رائعـا سـوار لكـن يجـب عليـك أن تبقـي معـي أثنـاء الرسـم ..لِمَ؟ ..مـاذا قلـت لـك بخصـوص تحقيـق حلمينـا ؟ أريـد أن أخلصـك مـما يبعـدك عـن الكتابـة وأريـدك أن تكـوني معـي لتلهمينـي الثقـة اللازمـة.. حسـنا سـأفعل أعـدك ثـم أيـن سـاذهب إن لم أبـق معـك... أعلـم أنـك لا تسـتطيعين فراقـي ولـو للحظـة لسـانك يكـذب ولكـن ملامحـك لا تكذب..ابتسـمت لكلامـه ورحـت أفكـر في شـعوري وهـو بجانبـي ، أظـن أن البقـاء في الحافلـة لـكل هاتـه المـدة لا يقلقنـي وهـو معـي، أنـا أشـعر بالأمـان بجانبـه هـذا أكيـد ، كـما أننـي أضحـك كثـيرا وهـو بجانبـي وأنـسى كل شيء، أنظـر إليـه وهـو يمـازح عـماد قائـلا: أتـرك خطيبتـك تتنفـس قليـلا لـن يسرقوهـا منـك .. إنـه شـخص ظريـف أرجـو أن لا تمـر أيـام الرحلـة بسرعـة..

في الطريـق كنـت أسـأل آدم عـن كل مدينـة وولايـة نصـل إليهـا و عـن المـدة المتبقيـة للوصـول فيقـول مازالـت حـوالي ألفـا أو ألفـين مـن لفـظ «غبـي» ، ثـم وقـف مـن مقعـده ونـادى عـلى السـائق أيهـا السـائق نحـن نشـعر بالملـل ضـع لنـا بعـض الأغـاني وإلا سـأغني أنا..فـرد عـماد: ارحمنـا يـا

الشـوفور لا تدعـه يفسـد رحلتنـا بصوتـه....

توقفنـا لتنـاول العشـاء ، أكلنـا وجبـة خفيفـة ثـم عدنـا للحافلـة لأغـط في نـوم عميـق لم أسـتيقظ إلى ونحـن عـلى أبـواب مدينـة بشـار ، اسـتيقضت فسـألت آدم عـن الزمـن المتبقـي فقـال سـاعة فقـط سـندخل بعـد دقائـق إلى بشـار ثـم نتوجـه إلى تاغيـت ..

قضيـت مـا تبقـى مـن وقـت أتأمـل الصحـراء ، أتعجـب لشسـاعتها وكيـف يقـدر النـاس أن يعيشـوا هنـا مـع هـذا الحـر ورغـم ذلـك بشـار آهلـة بالسـكان وفـوق ذلـك يحبـون منطقتهـم ولا يتذمـرون ، سـألت آدم عـن كل هـذا فقـال : هـذه زيارتـك الأولى للصحـراء ، لـو مكثـت هنـا لأسـبوع فقـط فسـيصعب عليـك فراقهـا فـما بالـك بمـن ولـد فيهـا وكـبر...

وصلنـا إلى تاغيـت كان علينـا أن نأخـذ قسـطا مـن الراحـة وأن نغتسـل قليـلا لذلـك توجهنـا إلى فنـدق تاغيـت مقـر إقامتنـا طـوال مـدة الرحلـة..

وصلنـا إلى الفنـدق كان نـزلا غايـة في الروعـة ، تحفـة معماريـة تحـاكي طبيعـة الصحـراء ، ومـا إن دخلنـا حتـى راح آدم يلعـب دور الدليـل السـياحي ، قـال موجهـا كلامـه إلي: مرحبـا بـك آنسـتي هـذا هـو فنـدق تاغيـت بمنطقـة تاغيـت السـياحية التابعـة لبلديـة السـاورة ولايـة بشـار ، هـذا الفنـدق مصنـف بثلاثـة نجـوم أنشـأ تصميمـه المهنـدس الإيطـالي puchita ، دشـن سـنة 1969 بواسـطة شركـة جزائريـة إيطاليـة ، يحتـوي عـلى عـدة مرافـق منهـا قاعـة مؤتمـرات و مرافـق صحيـة كـما يحتـوي عـلى 60 غرفـة وهنـاك مسـبح في الجهـة الخلفيـة لـه كـما يوفـر الفنـدق لـرواده إنترنـت بتدفـق

عـالي ، ضحكـت لجديتـه وقلـت شـكرا سـيدي أنـت دليـل جيـد ، تجولنـا في الفنـدق برفقـة منظمـي الرحلـة اكتشـفنا كل مرافقـه في حـين كان آدم وعـماد يلتقطـان صـورا لـكل شيء بواسـطة كاميرتـين جلبهـما خصيصـا لتوثيـق الرحلة ، ارتحنـا قليـلا في غرفنـا المخصصـة للمسـجلين في هاتـه الرحلـة، أنـا ونورهـان في غرفـة معـا و آدم وعـماد في غرفـة ، بعـد سـاعة راحـة جـاء المنظمـون ليخبروننـا أننـا سـنجتمع في الردهـة بعـد خمـس دقائـق ، نزلنـا إلى الردهـة قررنـا أن لا نبتعـد كثـيرا عـن الفنـدق اليـوم بسـبب تعـب الرحلـة فـكان لكل منـا الحريـة في أن يتوجـه لأي مـكان قريـب مـن الفنـدق عـلى أن نعـود قبـل العـاشرة ، توجهنـا نحـن الأربعـة إلى أعـلى إحـدى الهضـاب الرمليـة المقابلـة للفنـدق ، تجولنـا هنـاك قليـلا ثـم جلسـنا عـلى الرمـال، أنـا وآدم في جهـة وعـماد ونورهـان في جهـة أخـرى..

كنـا أنـا وآدم نثرثـر كأننـا طفلـين صغيريـن فيـما كان الخطيبـين هادئـين وهـذا مـا لفـت نظـري، نظـرت إلى عـماد فوجدتـه شـاردا كأنـه لا يسـتمتع بالرحلـة، كيـف لا يفعـل وهـو مـن اقترحهـا فيـما حاولـت نورهـان أن تحثـه عـلى الـكلام لكنهـا لم تنجـح كان يقـول لهـا أنـه متعـب ليـس إلا فـما كان عليهـا إلا أن استسـلمت واسـتلقت عـلى الرمـال.. قلقـت لأجلهـما ، أحسسـت بـشيء يـؤرق علاقتهـما خاصـة أن عـماد يسـترق النظـر إليّ كأنـه يريـد أن يخـبرني بـشيء أو يشـكو لي مـن شيء، حتـى إذا عرفـت أنـه ينظـر إليّ أزاح وجهـه.. لاح الشـفق الأحمـر في الأفـق فـوق الفنـدق فسـارع آدم لنصـب لوحة الرسـم خاصتـه وأخـرج أقلامـه ليرسـم منظـر الفنـدق عنـد الغـروب ، بقيـت بجانبـه

لـكي أحثـه عـلى المواصلـة محاولـة أن أراقـب كل حـركات أناملـه ، بـدا لي رسـاما محترفـا وليـس مجـرد هـاوي ، لاحـظ اهتمامـي فأخـبرني أنـه ينـوي المشـاركة في إحـدى مسـابقات الرسـم الوطنيـة ، سـعدت لأجلـه وشـجعته للمواصلـة ثـم تذكـرت روايتـي التـي بـدأت كتابتهـا قبـل أسـبوع فقـررت أن أكتـب أيضـا حـال عودتنـا للفنـدق فقـد بـث فيّ آدم حماسـة لم أشـعر بهـا بدونـه ...

عدنـا إلى النـزل قبـل العـاشرة ، تناولنـا العشـاء ثـم جلسـت مـع آدم قليـلا قبـل أن أسـتأذنه لأن أدخـل لغرفتـي لأكتـب قليـلا ، كتبـت في سـاعة أكـثر مـا كنـت أكتبـه في يـوم كامـل وأنـا في المنـزل لذلـك قـررت أن أخـرج للجلـوس عنـد مسـبح الفنـدق ، لم أرد أن أزعـج آدم فجلسـت وحيـدة ، فجـأة رأيـت عـماد جالسـا تحـت نخلـة قريبـة وينظـر إليّ ، ناديتـه فأقـترب، سـألته عـن نورهـان فقـال لقـد صعـدت لغرفتهـا... قلـت بحـزم: عـماد أنـا أرى أنـك لا تسـتمع بالرحلـة رغـم أنهـا في بدايتهـا فقـط مـاذا حـدث بينـك وبـين خطيبتـك ؟.. لم يحـدث شيء مازلنـا كـما العـادة .. لكننـي أشـعر بأنـك لا تحبهـا .. سـوار أنـا لم أحـب نورهـان أبـدا صحيـح معجـب بهـا لكـن هـذا لا يكفـي.. كيـف ذلـك ؟كيـف لا تحبهـا ؟.. سـوار دعنـا نضـع حـدا لهـذا ، أنـت تعلمـين مـا أقصـد ، أنـا لم أحـب فتـاة غـيرك .. مـاذا تقـول يـا عـماد ؟ عـلى الأقـل احـترم الربـاط الـذي بينكـما .. سـوار أنـا أحـترم الربـاط الـذي بيننـا ولـن أفسـخه خطيبتـي هـي نورهـان وسـتكون هـي أم أولادي بـإذن اللـه لكننـي لم أقـدر عـلى أن أتـرك حبـك ضمـن أسراري ، أعلـم أنـك لـن

تكوني لي ورغم ذلك رأيت أنه عليّ أخبارك و أخيرا أريدك أن تصارحيني بشعورك الحقيقي تجاهي لنطوي هذه الصفحة .. عماد أنت تعلم ما مررت به أنا ، تعرف أنني كنت أحب شخصا آخر ألا وهو هيثم ، لم أستطع نسيانه ولم أقدر على الخوض في علاقة أخرى ، أنت كنت دائما الأقرب مني كنت شخصا عزيزا عليّ بالفعل لكنني لم أحب غير هيثم، أنت كنت صديقي العزيز ليس إلاّ ، والآن أنت مع نورهان إنها فتاة رائعة عليك أن تحبها وتسعدها.. قال بصوت غاضب أنا لم أحبها ولن أفعل أنا معجب بها ليس إلا ، بعدما أنقذتها من الانتحار ، كنت أتصل بها كل يوم لأني رأيت أن من مسؤوليتي أن أبقى بجانبها كي لا تفكر في الانتحار من جديد ، لكن المسكينة ظنت أنني أحبها وذات يوم اتصلت بي لنلتقي ولما التقينا صارحتني بحبها ، صعقتني ، هل أقول لها أحبك أيضا وأنا أحب غيرها وغيرها تحب غيري أم أقول أنا مجرد صديق فأخذلها و أعيدها إلى بؤسها ، بقينا على تلك الحال هي تعشقني وأنا أنتظر اللحظة المناسبة لمصارحتها، لما شفيتي أنت من مرضك ودعوتني إلى الحديقة كنت أود مصارحتك ، ترددت وترددت حتى ظهر هيثم ليراقبنا فقررت أن أدفن حبي لك في مهده ، رأيتك تمثلين لإشعال الغيرة في قلبه فكان دليلا قاطعا على حبك له ، لكنك كنت تحملي خاتما لنورهان فكيف تقول أنك أردت مصارحتي بحبك ..؟

ما لا تعلمينه يا سوار أن الكتابة في الخاتم التي رأتها نورهان كانت منقوصة من ثلاثة أحرف .. ماذا ماذا تقصد؟.. اشتريت خاتم صداقة

كهديـة لنورهـان لعيـد ميلادهـا وطلبـت مـن الصائـغ أن يكتـب I love u norhan but.. ، كنـت أحـاول أن أشرح لهـا وكنـت أعلـم أنهـا سـتتفهم فقـد وقفـت معهـا طـوال الوقـت ، لكـن بعدمـا شـهدت منـك مـا شـهدت اتجـاه هيثـم، خرجـت مـن الحديقـة واتجهـت إلى الصائـغ قبـل أن أتوجـه إلى نورهـان ، محيـت تلـك الأحـرف الثـلاث وذهبـت إليهـا ولمـا دخلـت في غيبوبتـي و قمـت ووجدتهـا بجانبـي لم تفارقنـي يومـا قـررت خطبتهـا فهـي تحبنـي حتـى لـو لم أحبهـا لكننـي نـادم عـلى ذلـك... آسـفة عـماد لا أريـد أن أكـذب عليـك كنـت دائمـا أراك كصديـق عزيـز أو أخ حنـون لم أفكـر أبـدا بتلـك الطريقـة فلـم يكـن بإمـكاني خيانـة هيثـم حتـى تخيـلا.. قـال عـماد:.. أنـا الآسـف لأننـي أحببـت قلبـا لا يشـعر بي، والآن وداعـا يـا خيبـة عمـري لا أريـد أن أكـون حتـى صديقـك بعـد اليـوم ..فعـلا لا أريـدك بعـد انقضـاء الرحلـة سـينتهي كل شيء ...

رحـل عـماد غاضبـا وتركنـي أفكـر بذكرياتنـا معـا ، كل دمعـة نزلـت مـن عينـيّ كانـت شـاهدة عـلى وجـوده جانبـي ، لم يرفـض لي طلبـا قـط ، كان صديقـا رائعـا بالفعـل وهـا هـو الآن يرحـل بعيـدا لكنـي لم أكـن لأكـذب عليـه فأنـا لم أحـب غـير هيثـم... جلسـت قليـلا بعـد ، أنسـاني هـذا الجـو الرائـع في الكآبـة التـي سـببها لي عـماد ، القمـر يبـدو كأنـه أقـرب ، يلـوح في الأفـق فـوق الرمـال فيعطيهـا لونـا ذهبيـا مـع ظـل الكثبـان الرمليـة تصبـح لوحـة جذابـة سـبحان مـن رسـمها ، بعـد قليـل أتى آدم سـألني عـن سـبب بقـائي في الخـارج فقلـت أننـي أسـتمتع بجـمال القمـر مـاذا عنـك يـا آدم

قال: أما أنا فخرجت للجلوس مع القمر.. أما أنا يا آدم فلا أحب وجود قمرين فيلهيني الأول عن الثاني .. آه فهمتك حسنا سأتركك معه ، أنا ذاهب .. لا يا آدم ، هذا القمر آفل وأنا لا أحب الآفلين ، ابق أنت يا وليرحل هو فأنت صديقي العزيز .. عبس آدم قليلا وقال سوار أترين إن أحب أحدنا العسل لكنه رأى أن النحل تطوقها ماذا يفعل؟.. فهمت تلميح آدم فقلت: فليترك العسل تختار فإن هي اختارت النحل فالنحل أولى بها أما إن اختارته هو فلا طاقة للنحل أن تمنعه عنها.. أتعنين أن الأمر ليس بيدي ؟.. نعم يا آدم لكن كل شيء يتعلق بالرغبة ، إن كنت ترغب بشيء بشدة حصلت عليه لا محالة....

في الصباح اجتمعنا أمام الفندق أخبرنا المنظمون أننا سنزور قصر تاغيت، انطلقنا في حافلة كواستر وصلنا إلى القصر ، قصر لو لم أره بعيني لما صدقت أنه يقع في بلدي الجزائر ، أستغرب كيف لجزائري يسافر إلى باريس ولندن عشرات المرات و لم يزر معالم بلده ولو لمرة واحدة ، فعلا الإعتزاز بالانتماء ليس مجرد شعار أو كلمة تقال ما دمت لا تحرص على التعريف بما تزخر به بلدك من معالم سياحية ، قصر شيد قبل عشرة قرون على هضبة عمودية تقع في أسفله واحات خضراء ، تدخل إليه لأول مرة فتعجز عن الخروج منه بسبب شساعته ، مبني بالطوب المهدم وهذا يزيده جمالا و انسجاما مع طبيعة الصحراء ، تجولنا بداخله والتقطنا صورا كثيرة ، قصر لم أر مثله سوى في الأفلام الأجنبية التي تسرد أحداثا من القرون الوسطى ، حرست على التقاط صور مع آدم فأخشى

ألا أراه بعـد انقضـاء الرحلـة فأشـتاق إليـه ولا ألقـاه ، فعـلا أنـا مشـتتة بخصوصـه ، إن غـاب عـن ناظـري لدقيقـة رحـت أبحـث عنـه كطفـل فقـد أمـه بـين الجمـوع ، ربمـا هـذا مـا يسـمى بالصداقـة الحقيقيـة، خرجنـا مـن القـصر ومـا كدنـا نفعـل ، تجولنـا في الواحـات قليـلا ، التقطنـا الصـور، أكلنـا بعـض تمـور الدقلـة ، أظـن أن هـذا النـوع لا يصـل إلينـا في سـوق أهـراس فطعمـه لا يقـاوم ، توجهنـا إلى مـا يسـمى الحـمادة أو الصحـراء الصخريـة، فعـلا كل معلـم هنـا أجمـل مـن الثـاني ، صخـور شـامخة بـكل الأشـكال كأن مهندسـا صممهـا ثـم وزعهـا عـلى الصحـراء وجدنـا العديـد مـن السـيارات رباعيـة الدفـع هنـاك أخبرونـا أنهـم سـياح أجانـب يأتـون إلى هنـا ، جلسـنا معهـم كانـوا سـياحا مـن مختلـف الـدول الأوروبيـة و مـن أمريـكا ، كل يتكلـم بلغـة مـا جمعهـم حـب الصحـراء الجزائريـة ، تعرفنـا عـلى بعضهـم قدمـوا لنـا بعضـا مـن الشـاي الصحـراوي ، شـاي مختلـف عـما اعتـدت شربـه، التقطنـا صـورا مـع أولئـك السـياح تجولنـا بـين الحـمادات، اقـترب وقـت الغـروب فاقـترح المنظمـون علينـا أن نخيـم هنـاك أعجبتنـا الفكـرة ، اشـعلنا نـارا كبـيرة و جلسـنا حولهـا ، مـا عـدا آدم جلـس خلفنـا ليرسـم ذلـك المشـهد ونحـن حـول النـار وبعضنـا يشـوي لحـما للعشـاء، تركـت مـكاني وجلسـت جنبـه فقـال :حسـنا فعلـت فلـم أكـن أسـتطيع التركيـز عـلى المنظر، وأنـت معهـم كان تركيـزي كلـه عليك...قلـت : أنـا مسـتاءة لأن الرحلة توشـك عـلى الإنقضـاء ، لم يبـق إلا يومـين.. أنـا أيضـا يـا سـوار لذلـك أريـد أن أبـق معـك طـوال الوقـت المتبقـي.. حسـنا يـا صديقـي العزيـز لـن أذهـب إلى أي

مـكان حتـى تنقـضي الرحلـة أو ربمـا أخطـب لـك فتـاة مـن اللـواتي يرافقننـا توجـد الكثـير مـن جميـلات هنـا..

لا أريـد إحداهـن يـا سـوار ، أريـد واحـدة فقـط أحبهـا قلبـي أردت مصارحتها لكـن هيهـات ، هـي تمنعنـي عنهـا كل مـرة وأخـاف أن أخسرها..

القـدر يـا آدم هـو الفيصـل في كل شيء قـد يرميـك تـارة فـوق جناحـي فراشـة فتحلـق عاليـا ثـم يرميـك فـوق ظهـر حـمار يركـض بـك في الأراضي ويسـقطك ويرفسـك فـوق كل هـذا تذكـر دومـا لا تثـق بالأيـام أنهـا تخبـىء مـا يفاجئـك.. لذلـك اصـبر ودع القـدر يقـرر مـا يشـاء..

غادرنـا مخيمنـا بعـد منتصـف الليـل ، جلسـنا أنـا وآدم قليـلا في ردهـة الفنـدق ثـم اتجـه كل منـا إلى غرفتـه ، دخلـت غرفتـي فوجـدت نورهـان مسـتلقية عـلى سريرهـا وتسـتمع إلى موسـيقى حزينـة مـا إن دخلـت حتـى أوقفتهـا .. جلسـنا عـلى سريـري ورحنـا نبـث أشـواقنا لأيـام مضـت كنـا فيهـا أكـثر قربـا ... سـألتني نورهـان عـن هيثـم فاخبرتهـا بالمهلـة التـي طلبتهـا منـه للتفكـير في مصيرنـا ، نصحتنـي بـأن أفكـر مليـا وأن أتبـع عقـلي قبـل قلبـي كي لا أتعـذب لاحقـا ، قائلـة انصفـي عقلـك تنصفـك الحيـاة يـا سـوار ثـم إني أراكي متفاهمـة مـع آدم ، هـل تحبينـه ، قلـت مجـرد صديقـين يـا نورهـان صديـق عزيـز وفقـط..

_ سواااار..؟؟

حسـنا يـا نورهـان أنـا لا أدري بالفعـل أنـا أرتـاح بجانبـه يحـن عـلي ويضحكنـي و يحـب المكـوث بجانبـي لكننـي كـما تعلمـين .. مبعـثرة كعادتي..

_ إن وجدت الحب يا سوار فلا تترددي لأنك ستكونين محظوظة لو وجدت من يحبك فعلا ، إنه شعور رائع لم أشعر به أنا ولا أظنني سأفعل..

_ لمحت في صوتها نبرة حزن وفي عيناها وجع يختبئ لكن ليس عني أنا قلت بصرامة

_ إذن مالذي يحزنك يا نورهان ؟

_ كنت أنتظر سؤالك يا سوار كنت أحتاج أن أخبرك بما يخالجني

_ تحدثي حبيبتي تدرين أنني دائما هنا كي اسمعك وأخفف عنك

_ عماد يا سوار عماد لا يعيرني أي إهتمام أشعر أحيانا أن قطته مودي أهم مني ....ثم إنه بارد كرجل ثلج لا ينطق بعبارات الحب أبدا.

أدرك تماما أن نورهان قد اكتشفت إحراجي وفهمت من تنحنحي أن الأمر يشعرني بالتوتر نورهان حبيبتي عماد شخص مختلف عن باقي الرجال لن تشعري بحبه من خلال الكلمات لكنك تشعرين بذلك في كل موقف تمرين بيه ... تجدينه عصا تستندين عليها ... يملك قلبا حنونا وصدرا دافئا رجل شاعري ....

لكنه لا يحبني يا سوار !

صعقني ردها لم أكن أتوقع أنها تعي حقيقة مشاعره

قلت بتردد: أنتِ مخطئة هو يحبك فقط إمنحيه القليل من وقتك.

لينساها يا سوار لينسى التي يحبها لا تظني أني غبية أدرك حقيقة مشاعره أدرك أنه يحب غيري لكن تعلقي به يمنعني من فسخ الخطوبة أحبه

وأريـد أن أحـارب مـن أجلـه أريـد أن ألفـت نظـره لـن أستسـلم ....
كنـت أحمـد اللـه في سري لكونهـا لا تعلـم بـأن تلـك التـي يحبهـا هـي أنـا لـو عرفـت لقـضى الأمـر عـلى صداقتنـا وأنـا لم اعـد قـادرة عـلى تحمـل خسـارة أخـرى .
منحتهـا أسـاليب أنثويـة ذكيـة علمتهـا مـن كيدنـا العظيـم لـتروض صديقـي عـماد لتقربـه إليهـا لتكسـبه بـدل أن تنكـد حياته وتبعـده بدموعهـا وضعفها اللـذان لـن ينفعاهـا أبـدا ...
ثـم انعرجـت بهـا إلى موضـوع تمقـت أن أحادثهـا فيـه وهـو الصـلاة وبختهـا كثـيرا ووصفتهـا بالجاهلـة التـي تقتـل الدجـاج ثـم تطلـب منـه أن يأتيهـا بيضـا ...
كيـف تودين أن تسـعدي بحياتـك وأنـت لا تؤديـن حـق اللـه ... ؟ واختصرت حديثـي هـذه المـرة بـأن أدخلتهـا للحـمام عنـوة وإنتظرتهـا أمـام بابـه ألبسـتها حجـاب الصـلاة الـذي أحملـه كل مـا بـت خـارج بيتنـا وقلـت ... هيـا اسـألي اللـه مـا تشـائين وأنـت متيقنـة مـن أنـه لـن يـردك أبـدا فتلـك الموسـيقى التـي كنـت تسـتمعين إليهـا لـن تزيـدك إلا هـما.

في الصباح خرجنا من الفندق لنتفاجأ بعشرات الجمال أمام المدخل، علمنا أن المنظمون أحضروها لنا خصيصا لنذهب لإحدى الواحات القريبة ، ركبت إحداها بعد تردد و بمساعدة آدم ، كنت خائفة فعلا فلأول مرة أمتطي ظهر جمل ، قلت لآدم لا سأذهب راجلة أنا متأكدة من أنني سأسقط رد عليّ واثقا لا لن تسقطي وأنا بجانبك ثقي بي ثم أمسك بحبل ربط بلجام الجمل وراح يجره و أنا فوقه ، مشهد لو منحت قناطير ذهب على أن أمحيه من ذاكرتي ما محوته ، مشهد جعل نورهان تغار فنظرت إلى عماد نظرة أنثى فيها من المكر ما فيها ، أثرت في عماد فأمسك هو الآخر لجام الجمل الذي تمتطيه وراح يجره.. لنكمل طريقنا على شكل قافلة تجارية ..

وصلنا إلى واحة كبيرة تتبعثر على مساحتها العشرات من أشجار النخيل وتتوسطها بحيرة عذبة مياهها ، جلسنا أربعتنا تحت نخلة كبيرة قريبة من البحيرة ، قرر آدم أن يرسم فيما حملت أنا قلما وورقة لأكتب قليلا فقد ألهمني المنظر لإكمال روايتي فيما قالت نورهان موجهة كلامها لنا نحن الإثنين وهي تنظر إلى عماد الحاضر جسدا الغائب عقلا وربما قلبا : مسكينين أنتما لا أحد منكما يملك حبيبا يلجأ إليه أما أنا فلدي حبيبي وشريك عمري ، أليس كذلك حبيبي؟؟..لم ينطق عماد بكلمة لكنها راحت تثرثر حتى وهو صامت وهذا ما طلبت منها أن تفعله : لماذا أنت خجول يا خطيبي الغالي إن كان خجلك من هذين الغبيين ابتعدنا عنهما ثم أخذته من يده وراحت تجره إلى تحت نخلة أخرى ،

انتبهت لعماد لأرى ابتسامة خفيفة على محياه يحاول إخفاءها.. واصلي يا نورهان أظنك في الطريق الصحيح إلى قلب حبيبك ... لحظتها تذكرت كلمات عماد حين قال : سوار أنتِ تمثلين المدينة التي يحن إليها المغترب .. فيما تمثل نورهان سيجارتي التي تسعدني مدة قصيرة على حساب مرضي لاحقا .... أتمنى أن تختار سيجارتك يا عماد.

بقينا على تلك الحال ، أكتب قليلا ثم أناقش ما كتبت مع آدم فيمنحني أفكارا جديدة ، أراقبه قليلا وهو يرسم ثم أعود إلى الكتابة حتى تمكن الجوع منا مع وقت الظهر ، نصبنا بساطا على الرمل لتناول طعاما كنا قد جلبناه معنا من مطعم الفندق نحن وكل من معنا تناولنا غداءنا ثم نصبنا بعض الخيام لكي نصلي الظهر نحن النساء فيما صلى الرجال في الهواء الطلق ، أخذنا قيلولة تحت النخيل فلم يكن بمقدورنا مغادرة مكاننا بسبب الحر الشديد ، منا من غط في نوم عميق ومنا من بقي ، أما أنا فقد كنت شاردة أفكر فيما بعد الرحلة ، في لقائي بهيثم بعد المهلة كيف سيكون ، قطع عليّ شرودي مجيء آدم فربما لاحظ شرودي من مكان جلوسه ، جلس بجانبي وقال حسنا يا عزيزتي أريدك أن تكلميني عنك قليلا فقد مللت الجلوس وحيدا هناك.. ماذا سأحكي لك عني أنت تعرف كل شيء ..حسنا احكِ لي عن ماضيك عن أحلامك عن عائلتك لا يهم المهم تكلمي .. اممم ربما يروق لي الحديث أكثر عن عائلتي فجدي كان مدرس قرآن يحفظ كتاب الله كما يحفظ أسماء أبنائه الستة ويعلمه لمن مر بطريقه وجدتي كانت امرأة تتصدق حد

التبذير كان يكفيني أن أضع رأسي على صدرها لتتلاشى همومي يحدثني عنها أبي قائلا أنها كانت تحفر تحت التراب وتضع الذخيرة فيها من قهوة وسكر وكسكس وكل شيء زائد لتستخرجه عند حضور ضيف غير متوقع فكانت تفرح جدي الذي ظن أن لا زاد يكرم به ضيفه ويدعو لها قائلا الله يحمر وجهك ، وأتذكر أن معارفنا كانو يقولون لي.. وش راهو جدك الشاوش وأخبرني أبي لاحقا أنها تعني شيخ القبيلة أو زعيمهم فقد كان جدي رحمه الله إبن شيوخ الشاوية... صرخ آدم ذرك فهمت علاه راسك خشين وتعاند بزاف ... فرددت عليه غاضبة ... ألف مرة نعاودلك قول تعاندي تلعبي تهدري أنا مشني راجل ...

نورهان وعماد كانا يبدوان أحسن من ذي قبل ، على الأقل هو يكلمها وتارة يبتسم ، بعد صلاة العصر اتجهنا ناحية إحدى الهضبات الكبيرة جلسنا في ظلها على الرمل ، مع اقتراب الغروب أحسسنا ببرد خفيف فأشعلنا نارا كبيرة لتدفئ أجسادنا قليلا ولنشوي لحما للعشاء وكذلك لنحضر الشاي الصحراوي..

جلسنا في حلقة دائرية حول النار وجلس آدم قبالتي تماما وقد نصب لوحته وأخذ يرسم الهضبة التي نجلس في ظلها ، غياب ثرثرة آدم جعلني أدخل في نوبة تفكير بالماضي ، ماضي البائس الذي لم أرد نسيانه وللأسف صار من عادتي أن أكتئب فور تذكري لأحداث الماضي ، بقيت وحيدةمع ذكرياتي لحوالي ساعتين من الزمن ، كنت أتمنى أن ينقذني آدم بثرثرته تلك من سجن تفكيري لكنني كلما نظرت إليه أراه يراقبني

للحظات ثم يضع عينيه في لوحته ، ألم تكمل رسمتك بعد يا آدم ، هي مجرد هضبة لمَ كل هذا الوقت..

بأن الشفق الأحمر في الأفق ، يا إلهي إن المنظر هنا يسلب العقول ، كل هذا من جمال الصحراء ، كنت أظن أن جمال الطبيعة يتلخص في جبال وبحار فقط لكن الصحراء كذلك... تذكرت جدالا دار بيني وبين أخي المرحوم سابقا عندما كان يعمل في الصحراء وكان يقول لي إن أجمل ما في بلادنا الصحراء فكنت أستهزئ به .. سرحت بخيالي مع ذكرياتي مع أخي فإذا بيد تربت على كتفي، كان آدم يسألني عن سبب حزني فطأطأت رأسي فقال تعالي نتمشى قليلا ، أخبريني ما الذي يؤرقك رأيت أنك لست في حالتك الطبيعية منذ جلسنا هنا ، ألم يعجبك المكان ..؟

لا يا آدم فقط تذكرت ماضي البائس .. مابه ماضيك حدثيني إذن ..؟ ماضي طويل وذكرياته السيئة كثيرة فماذا أحكي لك يا آدم...؟ أحكي لي عن أصعب أمر واجهتِه إذن.. الموت يا آدم موت أخي لا أستطيع نسيانه .. احكِ لي عما مررت به في ذلك اليوم يا سوار أظن هذا سيساعدك بدل كبت مشاعرك بداخلك قد تنفجر في أية لحظة لينتج عنه أمر غير مرغوب به ...

في الماضي و عندما يموت أحد ابطال المسلسل الذي أتابعه أو أحد شخصيات الرواية التي أقرؤها كنت أشعر بحزن عميق وأدخل في موجة من الألم أفقد شهيتي في كل شيء ... وإذا ما سمعت بموت أحدهم في الواقع فكنت أنعزل في غرفتي أبكيه دون حتى أن تكون لي معرفة به

وأدعو له بالرحمة في صلاتي وأرسم الآف السيناريوهات لعائلته المحطمة في نظري وأبكيهم أيضا ... وقد كان ضحايا الطائرة العسكرية ال257 شهيدا وجعا لا انساه بكيت يومها وطني بكيت أهاليهم بكيت نفسي وتمنيت لو مت قبل أنأشهد هكذا مجزرة .. واليوم وأنا أخت الميت لم أبكِ لم أصرخ أصابتني حالة من الذهول منذ اليوم الذي رأيت فيه جثة أخي المرحوم غادرني الإحساس وغادر معه صوتي سمعتهم يقولون.. الطفلة بكمت لتنطق أمي التي خافت أن تفقدني أيضا ... أدوها للسبيطار بنيتي ... لم أتكلم إلاّ بعد يومين وقلت أخي سيأتي... كنت متيقنة أنه لن يرحل ويتركننا ... أعترف أنني حينها أصبت بالجنون لهول الصدمة ... الموت يا آدم مخيف أكثر مما تتصور يدفن أولئك الذين تحبهم تحت التراب يعانقهم القبر فيما أنت أولى بعناقهم ... أتوق لصوته الذي يواسيني أتوق لحضنه لعطره لطلته ولا أطيق صبرا على فراقه ..

لم اشعر إلا بيد آدم تربت على كتفي فيما عيناه تمدني بالثقة لأستمر كنت كتومة حتى اليوم يا آدم لا أعرف كيف استسلمت للبوح ... سوار أعي حجم المعاناة التي مررتِ بها وعدد الخيبات التي قتلت فيك حبك للحياة... لكنك يا آدم لا تعلم أنني تغيرت لقد ماتت روحي الجميلة ... قتلوا الطفلة الصغيرة التي كانت تسكنني لم أعد أسمع صراخها ... ليست ميتة بل مسجونة يا سوار ... لا يهم كلها واحد .. بل شتان بين ذلك . ماذا لو أطلقت سراحها يا جميلة ... لن تستطيع

لأنها مكبلة بالحديد ... لا شأن لك في ذلك فقط امنحيني فرصة ... آدم لا أريد أن أزج بك في غياهب عالمي المظلم دعك مني حدثني عنك ... عن ماضيك مثلا ... أنا أحببت أنثى طاهرة الجسد عاهرة الفكر ... خدعتني بمكرها ومثلت عليّ دور العاشقة فكانت معي وقلبها مع الآخر... حتى جاء اليوم الذي لمحتها تمارس العشق مع غيري يومها دفنتها يا سوار ودفنت كل ذكرى لي معها وقتلت حبي لها .. كنت تمثل نسيانها صح ؟ أبدا بل نسيتها حقا لأن كرامتي لا تسمح لي بأن أحب خائنة ... تذكرت حينها نزوات هيثم كما يسميها فسألته. .. آدم هل حقا يتعثر الرجل في علاقته بمن يحب مع امرأة اخرى ويسمى هذا نزوة وفقط ؟ إنفجر آدم ضاحكا حتى شعرت بالخجل ... يا بلهاء المحب أعمى عما دون حبيبته لا يرى غيرها وأي لمسة لغيرها أو همسة أو نظرة تعد خيانة وإجرام ...

إنها الليلة الأخيرة لنا في تاغيت ، لذلك قررنا أن نزور قصر تاغيت مرة ثانية ، حملنا أنفسنا وتوجهنا إلى هنالك ، طلب منا أحد المنظمين أن نتبع فعلنا ذلك حتى وصلنا إلى الباب الخلفي الذي يطل على ساحة كبيرة بها نخل كثيف ، سمعنا أهازيج في الساحة لم نعلم مصدرها حتى أخبرنا أحدهم أنهم «أصحاب المايا» وهن مجموعة من النساء يرددن أغان شعبية تسمى «الرحبة» ، تقدمنا إليهم رحبوا بنا بأغان كنا نفهم بعضا من كلماتها ونجهل الآخر بسبب اللهجة الغريبة عنا ، كالعادة آدم

لا يمكن له أن يبقى هادئا خاصة في هذه الأجواء ، لذا بدأ يقلد تلك النسوة يغني معهم ويرقص على طريقتهم والكل يضحك على رقصته ، بعد حين قالت إحدى النسوة : أنتم ضيوفنا لذلك من يريد أن نذكره في أغانينا أو أن يهدي أغنية لشخص ما فليخبرنا بذلك ، صمت الكل إلا عماد توجه نحو تلك المرأة وهمس لها في أذنها فإذا بهن يحطن بنورهان ويغنين لها ، كانت سعيدة للغاية وخجولة أيضا أما عماد ففاجئنا بتلك الروح الجديدة التي غابت طوال أيام الرحلة ، تقدمت إليه و باركت له لأن حب نورهان قد بدأ يتسلل إلى قلبه أخيرا، اعتذر لي عن كلامه معي مؤخرا قائلا: لقد أخطأت في حقك ستبقين صديقتي إلى الأبد فأنت من عرفتني على نورهان أعدك أنني سأهتم بها أكثر سأحبها وسأسعدها ولن أخذلها ما حييت .. حسنا يا ستوت هذا وعد فلا تخلفه ...أكمل اصحاب المايا غنائهم لتنصب أفرشة طويلة على طول الساحة ثم أحضرت الكثير من أطباق «الطعام» و»الشربة» الأكلتين الأشهر هنا ، كان ذلك عشاء الوداع فغدا صباحا نودع الصحراء ونعود إلى ديارنا...

في الصباح اجتمعنا أمام الفندق بعد أن جمع كل منا حاجاته الخاصة لنعود إلى ولاياتنا ومنازلنا ، وزعت علينا بعض التمور ذات الجودة العالية كهدايا نأخذها معنا ، كان الكل بلا استثناء حزينا ، لا أحد يتكلم مع الآخر ، كيف لا ونحن سنفارق هذه المدينة الرائعة ..تاغيت الساحرة.

في طريقنا إلى سوق أهراس كان الكل صامتا في حين كنت أراجع روايتي التي أكملتها في تاغيت ، كان مخططي عند الوصول إلى سوق أهراس التوجه إلى مركز ONDA للحصول على حقوق التأليف ونشر روايتي، احتجت إلى معرفة بعض التفاصيل فسألت عنها آدم الذي أخبرني باستعداده لمساعدتي في نشرها ...

بعد توقفنا لتناول الغداء عدنا إلى الحافلة ، لاحظت أن آدم كان متوترا لدرجة أنه لم يتناول غداءه فقط اكتفى بتدخين بعض السجائر بشراهة لم أعهدها فيه، سألته عن رسوماته فقد أحببت رؤيتها أراني إياها ، كانت غاية في الإبداع لم أشك أبدا في أنه سيفوز بأحد المراكز الأولى في المسابقة التي ينوي المشاركة فيها ...

مازحت آدم قائلة: الرحلة جعلتك تغير مواضيع رسوماتك كنت ترسم لوحات رومنسية فقط والآن صارت رسوماتك أكثر تنوعا ..رد عليّ بجدية: ألم أقل لك أنني أرسم فقط ما ينقصني ..قلت : آه إذن وقعت في الحب يا ستوت لا شك أنها معنا في الرحلة أرني إياها .. نعم هي معنا في الرحلة سأريك صورتها إن أردت ... بالطبع أنا متشوقة لرؤيتها.. أخرج آدم لوحة رسم من حقيبته ثم قال اغمضي عينيك وافتحيهما بعد أن أعد لثلاث... واحد اثنان ثلاثة افتحي... فتحت عينايّ لم أصدق ما أرى أمامي هذا الغبي يرسم جيدا ليس المناظر فقط بل حتى البشر لكن من هاته التي رسمها ، قلت بدهشة واستغراب :هذه أنا .. رد عليّ : نعم هذه أنت أنا أحبك يا سوار ما رأيك هل تقبلين حبي ..

غمامة سوداء لاحت أمام عيني ، آدم يحبني يا لها من ورطة وقعت بها ، لا أحب سوى شخص واحد ، أحببت هيثم وكفى وسأعود إليه ، هذا قراري.. سبقت إجابتي دمعة نزلت على خذي : أنا يا آدم .... آسفة كنت أظنك تعتبرني صديقة فحسب مثلما أعتبرك أنا ... طأطأ آدم رأسه وقال: لا بل أحببتك كما لم أحب أحدا قط فأنتِ لستِ كباقي النساء ... أنتِ أنثى بطعم القصائد تعبثين بقلبي كيفما شئتِ تسعدينني إن أردتِ و تدخليننـي في عالم الحزن إن شئتِ .... لكن إن كان هذا رأيك فأنت حرة ، أنا فقط أخبرتك بشعوري اتجاهك ولكنني اعتدت الخيبات.. خذي هذه اللوحة لم أعد بحاجة إليها..

وصلنا إلى سوق أهراس ولم نتحدث أنا وآدم منذ اعترف لي بحبه أو منذ صددته ورفضت حبه لي ، نزلنا من الحافلة ودعنا بقية مرافقينا ثم ودعت عماد ونورهان اللذان ألحا عليّ أنا وآدم لأن نلتقي بهم في أحد المطاعم بعد غد، استدرت لآدم وجدته مطأطئًا رأسه قلت له: آدم لقد سعدت بمرافقتك في الرحلة ، أشكرك جدا لمرافقتي طوال مدة مكوثنا هناك ، سنلتقي بعد غد في المطعم مع عماد ونورهان .. رد عليّ بدون أن يرفع رأسه : لا لن نلتقي مجددا ، هذه آخر ليلة لي في هذه المدينة، سأعود إلى جيجل وبعدها أعود لعملي فلم يبق لي شيء أفعله هنا ثم انطلق بعيدا عني...

ألن أراه مجددا لماذا ، لماذا تأب الصداقة أن تستمر إن وجد الحب ...!

اتصلت بهيثم أطلعته عن عودتي لسوق أهراس ، واتفقنا على أن نلتقي

في الجامعة لأن ذلك أضمن لي فأنا لا أريد أي ضجيج قد يردعني عن قراري ... إرتديت ملابسي على عجل ووضعت مكياجا خفيفا وخرجت بعد أن سمعت درسا طويلا من أمي التي تعاتبني في اليوم ألف مرة لنظري المطول غير المبرر للمرآة ركبت الباص ورحت أفكر في ما عشته وما أعيشه وما سأعيشه ... هيثم كان دوما حب حياتي وحتى إن لم أكن له فحبي له لن يكون له مثيل أعي جيدا أن غيره لن يحظى بهكذا مشاعر فأنا معه قد تجردت من غروري الذي آبيت أن أنزعه عني ... أكاد أجزم أن عدد اتصالاته التي لم أرد عليها خلال الأيام الماضية يكاد يتجاوز الألف ... لمهم لقد استشرت الله حين صليت صلاة الاستخارة وهو سيمنحي إشارة توجهني نحو الطريق الصواب ... انتشلني سائق الحافلة من ضياعي قائلا : الجامعة ... نزلت أدعو الله أن يمنحني الثبات... وأن يوفقني في قراري ... كان يجلس قبالة المكتبة يدخن سيجارته بطريقة كانت دوما توترني يمارس عليها طقوس حبه ويعلن لها عن عشقه وإحتياجه علنا دون أي حرج .. جلست بجانبه ... إلتفت لي بعيناه الحزينة ... اشتقت لك ... طال غيابك يا سوار ... هيثم هل أنت بخير تبدو متعبا ...؟ محطم أنا يا سوار فاجمعيني ... أخبرني ماذا حدث هل أهلك بخير ...؟ الحمد لله بخير... هذا ما كنت أهابه أن أضعف في قربه فقد كان قربه يشعرني بالضعف أكثر من بعده .. كنت أعجز أمام نظراته عن البوح بما يزعجني منه كنت أسيرته دوما ولم أعترض ولم أنشد حرية من أراضيه ... سألني بثقة، بل كان يؤكد

قـراري: سـوار حبيبتـي وافقـتِ صـح تودين مثـلي تمامـا أن تعـود علاقـة حبنـا القويـة ..! في لحظـة أردت أن أرتمـي بـين أحضانـه أن أبثـه وجعـي في بعـده أن أسرد لـه أن الحيـاة دونـه حماقـة ... لكـن الذكريـات شريـط يلـوح لي في كل مـرة يذكـرني بخطاياه تذكـرت نظرتـه للفتـاة التـي خاننـي معهـا في وجـودي ويـداه التـي داعبـت غـيري تذكـرت كلـمات آدم عـن الخيانـة تذكـرت صمتـه القاتـل وإهمالـه لي فنهضـت مفزوعـة ... سـألني مدهوشـا مـا بـك سـواري؟

أجبتـه بثقـة وقـد تخلصـت مـن ارتبـاكي وضعفـي الـذي حـاصرني طـوال مـدة حبـي لـه واليـوم أنـت تسـألني أن نعـود ... ! غريـب أمـر هـذه الدنيـا بالأمـس كنـت أنتظـر ظهـورك ... أرجـو كلمـة منـك تعيـدني لعالمـك واليـوم أنـا بـين ناريـن .. هـل أتخـلى عـن حبـي الـذي أخبئـه بـين ضلوعـي ...؟ عـن أجمـل أيـام حيـاتي هـل لي القـدرة عـلى الحيـاة دون عينـاك ، وهـل لي أن أتنفـس بغـير موطنـك ... ؟ هـل أقـدر عـلى لمـس رجـل غـيرك أو أن أتلفـظ بكلمـة حـب لسـواك.. لا أقـدر يـا هيثـم ... ولكنـي أيضـا مكسـورة أللـم بعـضي بعـد أن خنتنـي فهـل أسـقط نفـسي عـلى أراضيـك وأبعـثرني مـن جديـد هـل أقبـل أن أدنـس يـدي بيـدك التـي لامسـت الكثـيرات ... ؟ وأسـتمع لكلماتـك التـي بـت تعيدهـا كأغنيـة تحفظهـا جيـدا لـكل نسـاء الأرض ... هـل أقبـل أن أصنـف مثلهـن وأضـع في مكانتهـن .. لكنهـن لسـن مـن مقامـي وإن عـدت إليـك بـت أشـبههن وأنـا لا أرضى لنفـسي هـذا ... أنـا لم أشـبه يومـا نسـاء رخيصـات يبعـن أنفسـهن دون مقابـل أو مقابـل جلسـة

مليئة بالنفاق ومشاعر كاذبة ... لا أحب العلاقات الباهتة كعلاقتنا فلا مصير لها ولا قالب يحكم وثاقها ... لذا لا تلمني في اختياري اليوم أفكر بعقلي وقد جفاك قلبي ...

(بحيرة) ؛ وحبك لي يا سوار؟

حبي لك سأقتله بل ربما مات أصلا لكني كنت كمن يخاف أن يبتعد عن وطنه فيضيع ...عشتك وجعا وحزنا علمتني أن الحياة في غير عالمك حرام جعلتني دون ألوان دون نبض لم تمدحني يوما لم تهتم لمشاعري ولم تسألني عن أحلامي يوما.. فكر كما تشاء انعتني بالأنانية لكني يا هيثم سأبقى مع من يسعدني لا أريد ان أكون الطرف الذي يضحي بعد اليوم ...

_ سوار أنا أحبك رغم كل شيء !

الفرق بيننا أنني أرى فيك وطني يا هيثم لا أطيق التغرب عنك ... لا يروقني فكرة أن أكتسب غيرك وطنا أحبك بخيرك وغضبك وهذيانك ونوبات جنونك ... أما أنت فتراني كسجائرك تحتاجني تحبني تضمني إليك كل ما اشتد بك الوجع تقبلني بحب إذا ما مر بك سوء لترمي بي إلى الأدنى في أول لحظة صحو ... رفضت أن أنسب لسواك ورفضت أنت أن تبدل نوع سجائرك لكنك كنت تستبدلها إذا ما إنقطعت عن البيع... هل تفهم أين يكمن الفرق ؟

تركته غارقا في حيرته ورحت أسابق اللحظات لألحق بآدم كنت أركض رغم أني بالكعب العالي آدم وحده من فهم شخصيتي وحده من علمني

أن أحـب الحيـاة أهتـم بـكل تفاصيـلي وأعـاد لي الألـوان التـي فقدتهـا ... علمنـي أن أتجـاوز حـزني ...

سـمعت صديـق هيثـم ينعتنـي بالمغـرورة إلتفـت اليـه وقلـت كمـن يريـد أن يقـض عليـه: هـل تعـي حقيقـة ظـروفي هـل تعلـم مـا أعيشـه ...! لم يجـب فقلـت: إذن بلـع فمـك.

أوقفـت سـيارة أجـرة فـور خروجـي مـن الجامعـة ، أعلمتـه أن وجهتـي المحطـة ملحـة عليـه بـالإسراع ، فقـد علمـت مـن عـماد أن آدم توجـه قبـل قليـل إلى المحطـة للعـودة إلى جيجـل ،في طريقـي إلى المحطـة كنـت أفكـر في مـدى صحـة قـراري ، نعـم أردت هيثـم وأحببتـه لكـن آدم هـو ومـن كان يهتـم لأمـري ، كان مولعـا بـكل تفاصيـلي ، لم يتذمـر يومـا لطلبـي مسـاعدته لي في كتابـة روايتـي كـما يفعـل هيثـم ، كان دائمـا يحـب إضحـاكي عـلى عكـس هيثـم الـذي كنـت أنـا مـن يقاتـل لـكي أرسـم ضحكـة عـلى ثغـره، اليـوم اتبعـت عقـلي، أريـد مـن يسـعدني مـن يفكـر بي، مـن نكـون شريكـين في التضحيـة مـن أجـل بعضنـا لا أن أكـون المضحيـة الوحيـدة، لا أبـدا لسـت نادمـة عـلى قـراري ، سـأحب آدم و سـأكون معـه وبـه أكـثر قـوة وسـعادة، وصلـت إلى المحطـة ، كادت دقـات قلبـي تتوقـف لمـا رأيتـه يجلـس عـلى مقعـد ينتظـر دخـول حافلـة سـوق أهـراس _جيجـل ، كانـت نظراتـه خاويـة كأنـه بـلا روح ينظـر أمامـه لـلاشيء، لأول مـرة أركـز مـع تفاصيلـه، كان شـابا طويـل القامـة تزيـن وجهـه الأسـمر لحيـة خفيفـة مرتبـة، تقدمـت إليـه مـن الخلـف ، أخرجـت اللوحـة التـي رسـمني فيهـا ونشرتهـا أمـام عينيـه وقـد

كتبت في أسفلها «أنا أحبك أيضا» ..استدار إليّ بسرعة البرق .. سوار هل أنا في حلم..؟

لا يا آدم أنا أريدك لبقية العمر وما بعده ، أريد أن أشهد على شيخوختك وانتفاخ بطنك وشيب شعرك... عاد الدم يجري في شرايين آدم ، عادت ضحكته فقال: بل أحبك أكثر وأنوي أن أعشقك أكثر، أريدك معي سوار، أريدك بقلبي...آدم حافلتك توشك على الانطلاق .. ما هي وجهتها؟.. جيجل... لا لن أذهب قلبي هنا وسأبقى هنا..

ثم إني لن أنتظر أكثر ربما تغيرين رأيد أعطني رقم والدك أريد أن أكلمه ، ما اسمه ذكريني؟ .. ههه اسمه سالم .. حسنا الآن هو عمي سالم أم تحبين أن أناديه بابا سالم؟ ... ضحكت حتى بان ضرسي.. فقال: الآن أستطيع أن أتحرش بعينيك أنت خطيبتي الآن... آدم روح تلعب ليس بعد .. آه يا سوار كم أستمتع بسماع هذه الجملة من لسانك «روح تلعب» لكن الآن وقت الجد يا حبيبتي سأتصل بأبيك الآن وإلاّ نقلك سأتصل به عندما تكونين في المنزل فإن اتصلت به الآن سيظن أنني أحتجزك في مكان ما... ههه مهبول أنت...كنت عاقلا قبل أن أعرفك والآن اذهبي إلى المنزل سأتصل به بعد ساعة من الآن...

وصلت إلى المنزل بعد الظهر ، وما إن غيرت ملابسي حتى وصل أبي فقد كان في المسجد ، صليت الظهر ونزلت من غرفتي ، كنت أنظر إليه بخجل وأنا أتساءل هل اتصل به أم لم يفعل بعد ؟، جاء كلام أبي ونظرته مطمئنا لي بأنه لم يتصل بعد، بعدما قال أبي: سوار لم أعلم بأنكم في

إضراب أنت وأمك ألن نأكل شيئا ؟ .حضرت الطعام وجلسنا ثلاثتنا على مائدة الغداء ، كنت أتوقع اتصال آدم في أية لحظة ، قلبي كان ينبض بسرعة حاولت أن أخفي ارتباكي بسؤال أبي عن سبب عدم ذهابه للعمل اليوم وعن أمور أخرى لم أكن أنتظر إجاباتها فما كان يهمني هو أن أبدو طبيعية فحسب، نظرت إلى ساعة يديّ ثم قمت قائلة: بصحتكم أنا شبعت أني ماشية للكوزينة إذا احتجتم لشيء نادوني..

ما إن بدأت أغسل الأواني حتى رن هاتف أبي في حوش المنزل أين يتناول الشاي مع أمي .. كانت يداي في الصحون وأذناي تستمع لحديث أبي: وعليكم السلام نعم أنا هو .. والله الحمد لله على كل حال لكنني لم أعرفك يا بني... تشرفت بيك و بناس جيجل ..آه إن شاء الله ما يكون إلا الخير أنا سأتكلم معها ومع أمها وفي المساء أرد عليك و كل شي مكتوب عند ربي.. مع السلامة..

شعرت بأنني سأنفجر ، لذلك وضعت سماعات الهاتف في أذني حتى أقلل من إحراجي حتى أحسست بيد تمتد لأذني، نزعت أمي السماعات ووضعتها في أذنها ثم قالت ضاحكة: وشبيهم لي كيتمان فسدوا ولا وش ماني نسمع حتى حاجة.. تذكرت أنني لم أشغل الموسيقى في هاتفي ، لقد فضحت نفسي أنا غبية فعلا...

حسنا اتركي ما بيدك واتبعيني إلى غرفتي فأنت تغسلين حتى الأواني المغسولة إن لم تلاحظي ذلك... وصلت بها إلى الغرفة أغلقت الباب فقالت: أظن أنك لا تحتاجين لأن أخبرك بموضوعنا ، ما رأيك في هذا

الشاب المدعو آدم هل تعرفينه هل تقبلين به زوجا ؟ .. اللي تشوفوه أنت وبابا يا ماما ، اللي تشوفوه هو الصح... هل كان معك في الرحلة؟.. نعم... ما رأيك فيه ؟... لم أر منه إلا خيرا .. إذن سأخبر والدك بموافقتك.. اتركي لي وقتا لأفكر ثم سأخبرك.. حسنا فكري معك حق ولتنظري إلى أخلاقه قبل كل شيء فليس كل الذكور رجال .. الرجل وحده من يسعدك يا ابنتي.. معك حق يا أمي سأرد عليك بعد ساعة..

بقيت وحيدة في غرفتي بعد أن صليت صلاة الاستخارة أفكر في آدم ذلك الذي حتى قبل أن يعترف بحبه لي ورغم وجود بنات جميلات معنا في الرحلة إلا أنني لم أره ينظر لإحداهن أو يكلم فتاة غيري ، كان منذ البداية يريدني أنا ولم تلهه المغريات عني ، هو لم يخني و نحن مجرد أصدقاء فكيف سيخونني وبيننا رباط مقدس .. حسمت أمري في دقائق انتظرت اكتمال الساعة التي طلبتها كمهلة من أمي ثم ذهبت إليها أخبرتها أنني موافقة بعد رأيها ووالدي..

في المساء تلقيت رسالة من هيثم يخبرني بأنه سيغادر الجزائر اتجاه بلده غدا الثلاثاء عند العاشرة والنصف صباحا ، فكرت مليا قبل أن أقرر الذهاب لتوديعه فرغم كل شيء أنا لا أملك ذرة حقد عليه لذلك توجهت صباحا إلى المحطة التي سيمر عليها قبل التوجه للمطار ، اتصلت به فالتقينا قبل دقائق من ذهابه ، ودعته فيها ثم عدت إلى المنزل..

بعد ظهر الخميس وصل أهل آدم إلى منزلنا ، والداه وأخته وعماد، أمه

كانت سعيدة للغاية وقد قالت لي بأنها دعت الله أن أكون كنتها يوم كنت أمكث في منزلها من أجل زيارة الطبيبة في جيجل لما أصبت بذلك الورم في رحمي ، و الدايّ أحباه وأحبا عائلته وهذا ما قلل من إحراجي خاصة وأنا أقدم لهم القهوة .. ألبسني خاتم الخطوبة ثم اتفقنا على المهر الذي لم أنس ذكر بعض الروايات فيه ثم ودعونا عائدين إلى جيجل ..

اتصل بي آدم بعد مغادرتهم .. مبروك علينا حبيبتي.. مبروك حبيبي... كنت جميلة اليوم.. وهل كنت بشعة سابقا يا غبي ..؟ لا لكن أنت أجمل وأنت حبيبتي... وأنت أذكى وأنت بقلبي يا آدمي ... أنتِ وطن يا سوار تشدين إليك الجوارح فلا تقوَ على فراقك ... كم تربكني كلمة وطن قلت متهربة :

أين أنت ..؟ أنا في غرفتي أبحث على الأنترنت عن معارض الكتب المتاحة هذه الأيام .. لماذا ؟ .. قال ممازحا أرى أنك طلبت عشر روايات في مهرك لذا عليّ أن أسافر للعاصمة ثم القاهرة ثم الهند ولا أدري أي مكان آخر ، لم تطلبي سوى الروايات صعبة المنال لو كنت طلبتِ الملايين أحسن ، أمي لم تتوقف عن مدحك بسبب لاماديتك وهي لا تعلم أن تلك الروايات تتطلب مني جهدا لإحضارها... حبيبتك صعبة المنال يا غبي لذلك طلبت روايات صعبة المنال ..

ضحكنا وتحدثنا بطول الليل ، لم أشعر بذلك إلا وآذان الصبح يرفع على مسامعنا...

لم أعد أخرج من المنزل إلا للقاء آدم وتارة يأتي هو إلى المنزل ، فقد أحبه والداي كثيرا وصار كأنه فرد من الأسرة بسبب روحه المرحة وخفة دمه وفي إحدى المرات أتى لمنزلنا لرؤيتي بعدما أخبرته بأن حاسوبي لا يعمل وأنا أحتاجه من أجل الكتابة ، دخل لغرفتي وأنا معه قال أين هو حاسوبك؟ آه نعم هو في محفظته على الخزانة سأجلبه لك.. حاولت أن أصل إلى المحفظة على الخزانة لكن قامتي لم تسمح لي فتطاولت إليها ووقفت على رأس أصابعي اقترب مني وهو يضحك على قصر قامتي ثم قال : آه قلبي ما أجمل منظرك وأنت تطاولين بقامتك القصيرة يا سنفورة.

شعرت بالخجل الشديد فأردف: بدون الكعب العالي أنت أحلى ، قامتك تصل إلى مستوى صدري إلى قلبي تماما .. لا ترتديه مرة أخرى .. ثم أنزل محفظة الحاسوب بسهولة فحتى لم يمدد قامته ...

لم يتبق إلا ثلاثة أيام لانقضاء إجازة آدم لذلك قررنا أن نقضي هذه المدة معا ، اتصل بي صباحا لنخرج إلى الحديقة ، ارتديت حجابي الكروفات، وضعت مكياجا خفيفا وحرصت على عدم ارتداء الكعب العالي كما طلب ، وجدته ينتظر أمام الباب بابتسامته المعتادة ، مضينا في طريقنا وما إن اقتربنا إلى وجهتنا وهممنا بقطع الطريق إذا بهيثم ينظر إلينا من جانب الطريق الآخر وبيده زجاجة، تشبثت بذراع آدم وأشرت إلى هيثم بريبة، ظننت أنه ينوي بنا شرا فقد أخبرني أنه عائد إلى اليمن لكنه الآن هنا أمامي ، لم أستطع أن أنطق بكلمة كأن لساني انعقد ، كان

آدم ينظـر إليّ مذهـولا لا يفهـم مـا أصابنـي... فـإذا بهيثـم يجـري باتجاهنـا والضـوء الأحمـر لم يختفـي بعـد وهـو يـصرخ: إمـا لي وإلا فـلا ومـا إن اقـترب حتـى دهسـته سـيارة مسرعـة، نـزل سـائق السـيارة واجتمـع النـاس حـول هيثـم فـإذا بشـخص منهـم يقـول إصابتـه ليسـت خطـيرة لكـن الأسـيد حـرق يـده و شـوه وجهـه اتصلـوا بالإسـعاف..

شـعرت أن الدنيـا ترقـص بسرعـة وترمـي بي في سراب ... يـا إلهـي كان ينـوي أن يصـب علينـا حمـض الأسـيد أي مخلـوق هـذا...؟

صرعـت لمـا يحـدث كان آدم يمسـك بي ويهدئنـي في مـا كنـت أنـا أتخيـل لـو أصـاب هدفـه وشـوهني أنـا أو آدم نطقـت بصعوبـة فلنعـد يـا آدم أعـدني إلى البيـت حملنـي آدم وكان آخـر مـا سـمعته ... أطفئـو السـيجارة بسرعـة إنـه عاشـق مغـترب علينـا منحـه الحيـاة مـن جديـد.

الرواية حقيقية ولكل من وجد نفسه بين حروفي أخبرك أنت تهذي لأن كل

الذين تحدثت عنهم قد ماتو منذ سنين .....